

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
ISSN: 2709-0302 (online)

العقيدة وسؤال التجديد دراسة تأصيلية من خلال حديث «إنّ الله تَعَالَى يَبْعَثُ لِهذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يَجَدِّدُ لَهَا دينها»(*)

د/ أحمد بن علي الزاملي
أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد بأبها
aaaalzaml@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 2024/7/3م
تاريخ القبول للنشر 2024/7/17م
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

العقيدة وسؤال التجديد دراسة تأصيلية من خلال حديث «إنّ الله تَعَالَى يَبْعَثُ لِهذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يَجَدِّدُ لَهَا دينها»

د/ أحمد بن علي الزاملي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها

الملخص

تبتغي هذه الدراسة البحثية التأصيل لـ «سؤال التجديد العقدي» الذي عناه الشرع في حديث التجديد النبوي "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" بعد أن تعددت مفاهيم التجديد نسبة لتعدد المدارس الفكرية للوصول إلى إبراز المسائل العقدية التي انضوى عليها هذا الحديث، والتطبيق العملي لها؛ حتى يكون في ذلك ردًا على من ينكر التجديد من جهة، وتمهيدًا لطريق من يفتح الله عليه لتجديد هذا الدين من جهة أخرى مع التمييز بينه وبين غيره من المفاهيم، التي تحل محله وليست منه لحسم الإجابة على سؤال التجديد، وتقديم ما يلزم من عروض حضارية لتجاوز الأزمة التي نعيشها مع أنفسنا ومع العالم، وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي القائم على تصوير المسائل، ثم تحليلها، وتأصيلها شرعيًا، وفق مناهج البحث المعتمدة.

الكلمات المفتاحية: الأمة، الدين، المجدد، العقيدة، حديث التجديد، العناية الإلهية.

"Question of doctrinal renewal" which the Sharia meant in the hadith of the Prophet's renewal: "God sends to this nation at the beginning of every hundred years Someone who will renew its religion for it"

Dr. Ahmed bin Ali Al-Zamli
Associate professor in the Department of Contemporary Doctrine and Doctrines, at the College of Sharia and Fundamentals of Religion at King Khalid University in Abha

Abstract

While distinguishing between it and other concepts, which replace it and are not part of it, to resolve the answer to the question of renewal, and to provide the necessary cultural offers to overcome the crisis that we are experiencing with ourselves and with the world, this study followed the inductive and descriptive analytical approach based on depicting the issues and then analyzing and rooting them. Legally according to approved research methods.

Keywords: Nation, religion, innovator, belief, recent renewal, divine providence.



المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد.

يتسم العالم المعاصر بجملة من التحولات الحضارية والتحديات الفكرية والأخلاقية، التي أثرت بدورها على الواقع، يشهد لذلك ظهور تيارات دينية تختلف فيما بينها باختلاف توجهاتها الفكرية وتصوراتها، من تيار يفسر الحاضر بالعودة إلى الماضي، وآخر يتخذ من الغرب معيارًا للتحديث، مما يستدعي الحاجة إلى حسم الإجابة على سؤال التجديد، وتقديم ما يستلزمه مقتضى العصر، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا نجحنا في فك الاشتباك بين الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، ولا يتأتى ذلك إلا بجعل النصوص الشرعية متفاعلة مع الواقع، مواكبة المتغيرات بتجدد فهمها، خاصة وأننا نؤمن أن الله أودع في دين الإسلام الخالد من المقومات، ما يجعله رسالة عالمية متجددة في جميع الأزمان والعصور المتلاحقة، كما دلت عليها نصوص القرآن والسنة، وأيدها رصد مسيرة الأمة؛ لأنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق أكمل وأشمل يتعبد الله به سوى دين الإسلام، الذي لا يعتريه نسخ أو زوال، ولا يوازيه أو يدانيه دين.

ومن أعظم مقومات هذا الدين بَعثُ الله –عز وجل– المجددين له على مر العصور، يحفظون هذا الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ذلك أن مفهوم التجديد أصيلٌ في الشرع، وعملية مأمور بها في نصوصه، ومن ذلك حديث أبي هريرة η أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، فالحديث منطوقًا ومفهومًا يبشر باستمرار التجديد في الأمة، فأتت أهمية دراسته من الناحية العقدية، للوقوف على المسائل العقدية التي انضوى عليها، حتى يكون في ذلك ردًا على من ينكر التجديد من جهة، وتمهيدًا لطريق من يفتح الله عليه لتجديد هذا الدين من جهة أخرى، مع التمييز بينه وبين غيره من المفاهيم، التي تحل محله وليست منه.

وهذا ما دفع بالباحث إلى محاولة الكتابة في هذا المجال ببحث عنوانه: "العقيدة وسؤال التجديد دراسة تأصيلية من خلال حديث «إنّ الله تَعَالَى يَبْعَثُ لِهذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كلِّ مائةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دينها»"، في زمن نحن أحوج فيه ما نكون إلى رجالٍ يحسنون عرض الإسلام، ويتبنون كل تجديد مشروع يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح يدعون إلى الانفتاح على العالم دون الذوبان فيه، منهجهم الثبات على الأهداف، والمرونة في الوسائل، والتجديد في فهم الأصول، والتيسير في الفروع، تصفيةً للعقيدة من الشرك، وللعبادة من البدع والأهواء، وللأخلاق من التحلل والانهيار.

مشكلة البحث:

يأتي هذا البحث مجيبًا على السؤال الرئيسي: **ما التجديد الذي عناه الشرع في حديث التجديد النبوي؟ وما هي المسائل العقدية المتعلقة به؟** بعد أن تعددت مفاهيم التجديد نسبة لتعدد المدارس الفكرية.

أهداف البحث: من خلال العرض السابق لملامح الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة التصدي لها، يتضح أن الهدف المحوري يتمثل في محاولة الإجابة عن سؤال التجديد الذي عناه الشرع في حديث التجديد النبوي "إن الله



يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" من خلال الجانب العقدي، ويطلب تحقيق الهدف المحوري تحقيق أكثر من هدف فرعي، منها:

١- إبراز التجديد الموعود للدين الذي عناه الشرع، وذكر مسائله.

٢- توجيه الاهتمام إلى تأصيل اتجاهات التجديد العقدي الموعود حدوده المؤطرة.

٣- بيان دلالات مفهوم التجديد وحكمه في النصوص الشرعية.

٤- إظهار مقاصد التجديد الموعود، ودوافعه.

٥- الوقوف على أسباب المعارضين للتجديد ولوازم ذلك.

٦- الوقوف على دوافع دعاة التجديد، وآثار ذلك.

أهمية الموضوع:

١- أهمية التأصيل لمعنى التجديد الشرعي، والمفاهيم المتعلقة بسؤال التجديد.

٢- حاجة واقعنا الفكري والمجتمعي للتجديد، وحاجته إلى التفاعل الإيجابي مع مستجدات الحياة.

٣- انتشار الدعوات المعادية للدين الإسلامي الصحيح، التي تدعي عدم صلاحيته لهذا العصر.

٤- ظهور كثير ممن ينادي بالتجديد بمفهوم مضلل وأغراض منحرفة.

٥- حماية الأجيال من الغزو الفكري، وفساد العقيدة.

الدراسات السابقة:

بذل الباحث جهده في الوصول لدراسات تهتم بكشف هذا الجانب، ولم يقف على دراسة سابقة تتناول حديث التجديد من منحى عقدي، جلّ ما وجِد لا يعدو أن يكون دراسة للتجديد عند العصرانيين الجدد، تتناول فيه تجاوزاتهم العقدية والفكرية وتبرز مناهجهم وسماتهم، فيلاحظ الفرق بينها وبين هذه الدراسة في خلوهما من الكلام حول الدراسة العقدية التأصيلية لـ «سؤال التجديد العقدي» الذي عناه الشرع من خلال فقه حديث التجديد النبوي (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، وذكر مقاصد التجديد الموعود ودلالاته ولوازمه، والمسائل العقدية المتعلقة به، ومن هذه الدراسات ما يلي:

١- تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، للدكتور أحمد بن محمد اللهيب.

تعرض الباحث للجذور الغربية لهذه المدرسة وأسباب ظهورها في العالم الإسلامي، ثم بيّن مصادر التلقي لديهم والقواعد العامة لهذا الاتجاه الفكري، وختم الباحث رسالته ببيان الآثار المترتبة على دعوة هذا الاتجاه على الأمة الإسلامية وثقافتها.

٢- العصرانيون ومفهوم تجديد الدين عرض، ونقد للأستاذ الدكتور عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين.

تحدث عن مفهوم التجديد الاصطلاحي والبدعي، وبين أسباب ظهور المدرسة العصرانية في الفكر الإسلامي، وأسهب الحديث عن مفهوم التجديد عند هذه المدرسة بمجالاته المختلفة، وما فيه من المخاطر على الفكر الإسلامي، ثم ختم بالفرق بين مفهوم التجديد عند العصرانيين ومفهومه عند سلفنا الصالح.



٣- تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، لمحمد بن شاكر الشريف.

أصل فيه لمسألة تجديد الدين مع بيان حدودها وأهميتها، ثم انتقل للحديث عن التجديد المحرف كما وصفه، مبينًا ملامحه وضوابطه عند العصرانيين، ثم انتقل إلى بيان أطوار تحريف الدين مع ذكر نماذج لهذه الأطوار وآثارها على أهل الإسلام، وجميعها متعلقة بالأحكام الفقهية.

٤- رسالة ماجستير بعنوان: (التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر)، لأحلام بنت محمد الدويخ.

حاولت من خلالها دراسة مفهوم التجديد ودواعيه، وموقف الدعاة المعاصرين من التجديد ومناقشة آرائهم، وأثر التجديد على الدعاة والدعوة والمدعوين.

٥- التجديد في الفكر الإسلامي، للدكتور عدنان محمد أمامه.

تناول الباحث الجانب الإيجابي حول مفهوم التجديد وعلاقة التجديد بالاجتهاد وبالبدعة وذكر نماذج من المجددين في التاريخ الإسلامي في مختلف مجالات الشريعة، كما تناول الباحث الجانب السلبي حول مفهوم التجديد وذكر أهم مدارس التجديد المنحرف، وختم البحث بشأن التجديد وأقسامه بجملة من التوصيات كالتصدي للتجديد المنحرف وتعضيد التجديد الصحيح ومنهجه القويم، والرسالة تعد عملًا موسوعيًا، حيث تحدث فيها الباحث عن دعاوى التجديد في العلوم الشرعية كافة (التفسير- الحديث-العقيدة-الفقه وأصوله-السلوك- التاريخ الإسلامي).

٦- مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير.

دعا فيه الباحث إلى التدقيق في تحديد مفهوم تجديد الدين وعلل ذلك بكون الاضطراب في تحديد معناه يقود إلى اضطرابات خطيرة، وذكر الحدود الفاصلة بين الجديد المقبول والجديد المرفوض، وعلاقة التجديد بالتطور.

كما عرض نماذج من جهود المجددين مشيرًا إلى مفاهيم التجديد الخاطئة في نظره كالعصرانية في كل من الغرب والعالم الإسلامي.

علاقة الدراسات السابقة بالدراسة الحالية:

تحدثت معظم الدراسات السابقة عن تجديد الدين ومجالاته بشكل عام، والتطرق إلى دور العصرانيين في انحرافاتهم تجاه تجديد الدعوة الإسلامية، لذا فإن هذا الموضوع "العقيدة وسؤال التجديد دراسة تأصيلية من خلال حديث «إنّ الله تَعَالَى يَبْعَثُ لِهذِهِ الأُمَّةِ على رَأْسِ كلِّ مائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دينها»"، سيهتم بالمسائل العقدية المتعلقة بحديث التجديد للإجابة على سؤال التجديد الذي عناه الحديث النبوي، الذي لم يتمتع بدراسة مستقلة ومستفيضة، فلا يزال الموضوع بحاجة للمزيد من الدراسة والبحث.

منهج البحث:

اتبع هذ البحث المنهج التحليلي الاستقرائي القائم على تصوير المسائل ثم تحليلها وتأصيلها شرعيًا وفق مناهج البحث المعتمدة، من أمور علمية مثل التخريج، والحكم على الأحاديث، والتوثيق، والتعريف بالأعلام، والفرق، والأماكن ونحو ذلك.

تقسيمات البحث:

يتكوّن هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثبت بالمراجع.

المقدمة وفيها أهداف وأهميّة الموضوع، والدّراسات السّابقة، وأسباب اختياره، ومنهجه، وتقسيمات البحث.

التّمهيد، ويشتمل على: دراسة إسناد ومتن الحديث، والأدلة الواردة في تقريره، وقدسية الحق والعناية الإلهية.

المبحث الأول: ألفاظ الحديث ودلالاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة منطوق ألفاظ الحديث.

المطلب الثاني: دلالة الالتزام لمعنى الحديث.

المبحث الثاني: مقاصد تجديد الدين ولوازمه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مقاصد التجديد المشروع ودوافعه.

المطلب الثاني: المعارضين للتجديد الأسباب واللوازم.

المطلب الثالث: دوافع دعاة التجديد، وآثار ذلك.

المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالتجديد الموعود، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المسائل المتعلقة بالمبعوث الموعود.

المسألة الأولى: البعث التكويني للمجدد وتعيينه.

المسألة الثانية: زمن الحاجة إلى التجديد.

المسألة الثالثة: مواطن التجديد العقدي.

المطلب الثاني: المسائل المتعلقة بقواعد التجديد.

المسألة الأولى: قواعد التجديد الموعود المتعلقة بالمبعوث.

المسألة الثانية: قواعد التحديد الموعود المتعلقة بالأحكام الشرعية.

المسألة الثالثة: قواعد التجديد الموعود المتعلقة بالمنهج.

الخاتمة والتوصيات.

المراجع.

والشكر لله ثم لجامعة الملك خالد، ولكلية الشريعة وأصول الدين، ولقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، على حرصهم وتعاونهم، ولكل من أسدى لي عونًا، فالله أسأل أن يهب لكل هؤلاء من ثوابه كفاء ما قدموا لي من صنوف العون، وأسأله -عز وجل- أن يبارك في الجهود وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



التمهيد:

قبل الشروع في البحث، لابد من دراسة للحديث سندًا ومتنًا، والحكم عليه استنادًا على مصنفات أهل الاختصاص.

أولًا: دراسة إسناد الحديث

جاء التصريح بلفظة التجديد في حديث واحد عند أبي هريرة –رضي الله عنه–، إشارة إلى أن هذا الدين سيظل محفوظًا خالدًا، بحفظ الله –سبحانه وتعالى– له، بواسطة من يبعثهم الله من المجددين بين الفينة والأخرى، ليقوموا بحراسة هذا الدين، وإحياء سننه وشعائره، وإعادة معالمه المندرسة، ودفع أعدائه، حيث ورد بلفظ:

حدثنا سليمان بن داود المهري، أنبأنا ابن وهب، أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة فيما أعلم عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)، واتفق عدد ليس بالقليل من العلماء والأئمة على صحته سندًا ومتنًا.

فقد أخرجه غير واحد من أئمة هذا الفن في مصنفاتهم وهم: أبو داوود (ت: ٢٧٥هـ) في سننه: كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (١٧٨/٤ برقم: ٤٢٩١) بلفظه، والحاكم (ت:٤٠٥هـ) في مستدركه: كتاب الفتن والملاحم ذكر بعض المجددين في هذه الأمة (٥٢٢/٤ برقم: ٨٦٨٧) بلفظه، والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) في معرفة السنن والآثار: المقدمة، باب ذكر مولد الشافعي رحمه الله تعالى (٢٠٨/١ برقم: ٤٢٢) بلفظه، والخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) في تاريخ بغداد: (٣٩٢/٢ برقم:٣٥٤) بلفظه، وأبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) في السنن الواردة في الفتن: باب قول النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)، (٧٤٢/٣ برقم: ٣٦٤) بلفظه، والهروي (ت: ٤٨١هـ) في ذم الكلام وأهله، وابن عدي (ت: ٣٦٥هـ) في الكامل في ضعفاء الرجال (٢٠٤/١)، والطبراني (ت: ٣٦٠هـ) في المعجم الأوسط: باب الميم (٣٢٣/٦ برقم: ٦٥٢٧) بلفظه، وقال عقب الحديث: "لا يُروى هذا الحديث عن رسول الله إلا بهذا الإسناد، تفرد به ابنُ وهب".

واتَفق جماهير أهل العلم على تصحيح هذا الحديث[(١)]، والعمل به: فمنهم من نص على تصحيحه صراحة، ومن أشهرهم: الحاكم (ت:٤٠٥هـ) في المستدرك، والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، والحافظ زين الدين العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، وولده ولي الدين العراقي (ت: ٨٢٦هـ)، وابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، والسخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، والسيوطي (ت: ٩١١هـ)، والمناوي (ت: ١٠٣١هـ)، والملا عليّ القاري (ت: ١٠١٤هـ)، والعجلوني (ت: ١١٦٢هـ)، والألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، وعبد القادر الأرنؤوط (ت: ١٤٢٥هـ)، وشعيب الأرنؤوط (ت: ١٤٣٨هـ) وغيرهم من العلماء[(٢)].

وهناك طائفة من أهل العلم سلكوا مسلكًا آخر في تقوية الحديث وتصحيحه؛ كالزُّهري (ت: ١٢٤هـ)، وسفيان بن عُيينة (ت: ١٩٨هـ)، وأحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، وابن عساكر (ت: ٦٨٦هـ)، وابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)،

---

(١) قاله السيوطي في كتابه: التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة (ص ١٩)، ينظر: المستدرك" (٤/ ٥٦٧)؛ المدخل إلى علم السنن، البيهقي (١/ ٣٢)؛ وتاريخ دمشق، ابن عساكر (٥١/ ٣٣٨)؛ توالي التأسيس، ابن حجر (ص ٤٩)؛ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، السيوطي (٣/ ١٠٦١)؛ المقاصد الحسنة، السخاوي (ص ٢٠٣)؛ فيض القدير، الشوكاني (٢/ ٢٨٢).

(٢) ينظر: مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٣/ ١٠٦١)؛ فيض القدير (٢/ ٢٨٢)؛ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (١/ ٣٢٢)؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني رقم (٥٩٩) (١٥٠/٢)، يراجع حديث: "إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها" رواية ودراية، د. عبد العزيز مختار إبراهيم، مقال منشور بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد ٦٨، صفر ١٤٢٨هـ/ مارس ٢٠٠٧م، (ص٢٥).

والنووي (ت: ٦٧٦)، وابن كثير (ت: ٧٧٤)، حيث قاموا بتتبع المجددين من العلماء في كل قرنٍ بعد النبي ﷺ، ولهجت ألسنتهم بذكره[١]، الأمر الذي دفع الحافظ ابن حجر إلى التعليق على بعض تلك النقول بقوله: "وهذا يشعر بأن الحديث كان مشهورًا في ذلك العصر، ففيه تقوية للسند المذكور مع أنه قويٌّ؛ لثقة رجاله"[٢]، وقال العجلوني (ت: ١١٦٢): "وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث"[٣].

ثانيًا: الأدلة الواردة في تقريره:

يعد ما سبق من جملة تصحيح العلماء لهذا الحديث، وإثباتهم له، وإذا كان هذا سند الحديث فلا ريب في أن يكون متنه صحيحًا لا نكارة فيه، ولا مجال للطعن في صحته عقلًا أو نقلًا، ولا شذوذ في ألفاظه، فقد جاءت أحاديث أخرى تؤكد صحته ومعناه، ومن هذه الأحاديث:

قول الرسول ﷺ: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي)[٤]، وقوله ﷺ:(يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين وتحريف الجاهلين الغالين)[٥]، وقوله ﷺ: (لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته)[٦]، وقوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهم على ذلك)[٧]، وقوله ﷺ: (مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا ومن سنَّ سنَّةً سيِّئةً فعملَ بِها، كانَ عليهِ وزرُها وَوِزْرُ مَن عملَ بِها من بعده لا ينقصُ من أوزارِهِم شيئًا)[٨]، وقوله ﷺ، لعلي بن أبي طالب: (لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم)[٩]، وقوله ﷺ: (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره)[١٠]، وقوله ﷺ: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو ذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)[١١]، وقوله ﷺ:(إن الله زوى لي الأرض! فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)[١٢]، وقوله ﷺ:(بشر هذه

---

(١) ينظر: توالي التأسيس، ابن حجر (ص ٤٩)؛ الناسخ والمنسوخ، النحاس (ص ٥٢٢)؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر (٥١/ ٣٣٨-٣٣٩)؛ حلية الأولياء، أبو نعيم (٩/ ٩٧-٩٨).

(٢) توالي التأسيس (ص ٤٩).

(٣) كشف الخفاء، العجلوني (١/ ٢٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة برقم (٣٤٥٥).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (١٠/٣٥٤)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح برقم (٢٤٨).

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٨)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٨).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٦٧).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠١٧).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٤٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٦١٠٦).

(١٠) صحيح ـ عن أنس: رواه الترمذي (٥\ ١٥٢)، وأحمد (٣\ ١٣٠)، وابن حبان (١٦\ ٢٠٩)، وأبو يعلى (٦\ ٣٨٠)، وعن عمار: رواه الطيالسي في مسنده (٩٠)، والبزار (٤\ ٢٤٤)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (١٠٨٠) وفي السلسلة (٥\٣٥٥).

(١١) صحيح ـ عن تميم الداري: رواه أحمد (٤\١٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤\٤٧٧)، والبيهقي في سننه الكبرى (٩\١٨١)، والطبراني في مسند الشاميين (٢\ ٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة (١\ ٣٢).

(١٢) صحيح ـ عن ثوبان: رواه مسلم (٤\٢٣٢٣).

الأمة: بالتيسير، والسناء، والرفعة بالدين، والتمكين في البلاد، والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب)(١)، وقوله ﷺ في التحذير من البدع:(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)(٢)، وقوله ﷺ: (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة في النار)(٣)، وقوله ﷺ: (إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخلق الثَّوْبُ الْخَلَقُ، فَاسْأَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)(٤)، وقوله ﷺ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)(٥)، وقوله ﷺ: (إنَّ اللهَ لا يَقبِضُ العِلمَ انتِزاعًا يَنتَزِعُه مِنَ النَّاسِ، ولَكِن يَقبِضُ العِلمُ بقَبضِ العُلَماءِ...)(٦).

والمتأمل لهذه الأحاديث وغيرها يجد بأنها تؤكد صحة حديث التجديد سندًا ومتنًا، كما تدعوا إلى تجديد الدين كلما احتيج لذلك، وامتثال ذلك من السمع والطاعة والتصديق لله ورسوله صلى الله عليهم وسلم.

ثالثًا: قدسية الحق والعناية الإلهية:

إن دين الإسلام بطبيعته دين يتماشى مع سنن الحياة، ولا يصادم الفطرة الإنسانية، ويشجع على التجديد المستمر لحركة الحياة والمجتمع من أجل الوصول إلى الأفضل في جميع مجالات الحياة، وقد جعل الله المجددين هم خلف الأنبياء في إعادة الأمة إلى دينها الصحيح، إذا قل العلم، وغلب المبتدعة، تحقيقًا لتطبيقاته في كل عصر وحلًا لنوازله، قال المناوي (ت: ١٠٣١هـ): "وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لا بد من طريق واف بشأنها اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث إجراء لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم"(٧)، ولذلك أدخل أبوداود (ت: ٢٧٥) الحديث في كتاب الملاحم إشارة إلى ذلك، وأنَّه إذا وقعت فتنة جبرها الله بمن يجدّد الدِّين(٨).

---

(١) صحيح . عن أبي بن كعب: رواه أحمد (٥\ ١٣٤)، وابن حبان (٢\ ١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٤\ ٣٤٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥\ ٣٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (١\ ٢٥٥)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (٥١٤)، وصحيح الترغيب (١\٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٦٩٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٥٤٠٧)، وابن ماجة (٤٢)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، كِتَابُ الْإِيمَانِ، الأمر بسؤال تجديد الإيمان (١/٤)، ح(٥)، والطبراني في الكبير (١٤/ ٦٩) ح(١٤٦٦٨) (باب العين، أبو عبد الرحمن الحبلي).

(٥) رواه أبو داود (٤٥٩٧) والحاكم (٤٤٣) وصححه، وصححه ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٥).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٠٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٣).

(٧) فيض القدير (١/١٠).

(٨) ينظر: مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٣/ ١٠٧٠).

المبحث الأول: ألفاظ الحديث ودلالاته

رفع الله شأن الكتاب والسنة وجعل نصوصهما أدلةً يُستنبط منها العقائد والأحكام(١)، ولا يمكن لفهم بشري لأهل أي عصر من العصور أن يحيط بها، ويهيمن عليها، ويضع مدلولاته في قوالب فهم بشرية نهائية لا تسمح بأي فهم آخر، فالتسليم بذلك يفقد القرآن العزيز والسنة المطهرة صفة الإطلاق، فلم يقيد رسول الله ﷺ، معاني الكتاب المطلق بتفسير نهائي، بل جسد بسنته وسيرته تعاليم الكتاب وأحكامه بشكل يوضح منهجية التأسي والاتباع اللذين أمر الله الناس بهما، ولذلك كان أئمة الأمة يؤكدون على هذه المعاني، بقولهم: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"(٢) ونحو: "إذا وجدتم عن الله أو عن رسول الله ﷺ ما يخالف قولي فاضربوا بقولي عرض الحائط"(٣)، فالمجدد المجتهد ينطلق من النص وما يكتنفه من المعاني والمقاصد والدلالات؛ ليصل إلى أجوبة وفتاوى لِما يُطرَح في واقعه المتغير، مما يبرز لنا أهمية دراسة ألفاظ حديث التجديد ودلالاته.

المطلب الأول: دلالة منطوق ألفاظ الحديث "التجديد، البعث، الدين".

دل حديث التجديد بمنطوقه على صريح عبارة "التجديد"، وهي مشتقةٌ في اللغة: من أصل الفعل "تجدد" أي صار جديدًا وعاد لحالته الأولى، وجدد الشيء وتجدد، إذا صار أو صُيِّره جديدًا، وهو مصوغ على سبيل "تفعيل"؛ أي: جعل الشيء على صورة مغايره في المآل لما هو عليها في الحال، والجديد "نقيض البلى" يَعْنِي إِعَادَةَ تَرْمِيمِ الشَّيْءِ الْبَالِي، وخلافُ القديم، ونقيض الخَلِق، يقال: أَحْدَثَهُ فَتَجَدَّدَ، ويقال: جدد الوضوء وجدد العهد، أي إعادة الوضوء وتكرار العهد(٤).

وقد أتى استخدم القرآن الكريم لكلمة جديد، في قوله تعالى: {أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٥} [سورة ق:١٥]، وقوله:{وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠} [سورة السجدة:١٠]، فجاءت موافقةً في معناه لمعنى التجديد وهو البعث والإحياء والإعادة(٥).

ولما كان مفهوم "التجديد" من أكثر المفاهيم التي تنازعتها التيارات الثقافية والفكرية المختلفة، فقد انعكس هذا التنازع على المفهوم ذاته من حيث معناه ودلالاته، فوردت له عدة تعريفات اصطلاحًا(٦)، إلا أن المختار منها لهذه الدراسة أن يكون تعريف التجديد الشرعي هو: تصحيح الدين بإحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر

(١) يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم (١/ ٤٢)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٢) حاشيته على الدر المختار، ابن عابدين (١/٦٧)، المستخرج على المستدرك، العراقي (ص١٥).

(٣) الدين الخالص لمحمود السبكي (١/ ٣٤).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الدال فصل الجيم (١١٣/٣)؛ ومختار الصحاح، أبو بكر الرازي باب الجيم حروف ج د د (٥٤/١)؛ المصباح المنير، لياقوت الحموي، كتاب الجيم كلمة جدد (٩٣/١).

(٥) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد، أنس محمد (ص ٣٥).

(٦) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١/١٠، ١٤) (٢٨١/٢)، دلائل النبوة لابن كثير (ص٩٥)، عون المعبود لشمس الحق آبادي (٢٦٥/٣) (٢٦٠/١١).

بمقتضاهما، والنهي عن كل ما يعارضهما من المحدثات، وإعادة فهمه بحسب ما يجد في حياة الناس وفق قواعد التشريع الصحيحة.

وقد يُلحظ التداخل في بعض المفاهيم بمصطلح التجديد، فنجد أن هناك علاقة بين التجديد والاجتهاد، فعملية الاجتهاد مستمرة في كل زمان ومكان لا تتوقف، وقد حصرتها التجربة الإسلامية في الجانب الفقهي، في حين أن عملية التجديد أوسع مدى وأشمل حدودًا فهي تمثل إحياءً عامًا، ومراجعة شاملة لمسيرة الأمة بهذا الدين، فالتجديد حقيقته اجتهاد بشكل من الأشكال، لكنه أعم لكونه عمليه تجديد وإحياء للدين في الأمة؛ ولأن آثاره أوسع وأعمق من آثار الاجتهاد، إذ قد يكون الاجتهاد في مسائل فرعية محددة أو كبرى وهامة[1]، فكان بهذا كل مجدد مجتهد، وليس كل مجتهد مجددًا، فالتجديد يتسع لكل ما يندرج تحت اسم الدين من العقيدة والفقه، والتفسير، والعبادة، والأخلاق، وغيرها، بإحياء معالمه وإعادة فهمه بما يتناسب مع احتياجات كل عصر، دون المساس بجوهره وأصوله الثابتة، وتصحيح ما يطرأ عليه من انحراف، أما الاجتهاد فميدانه الأحكام العملية المندرجة تحت مسمى الفقه.

كذلك العلاقة بين التجديد والبدعة[2] نجد أنها علاقة تباين ومقابلة؛ وذلك أن الابتداع اختراع وإحداث، بينما التجديد إعادة وإحياء، ونجد أن الابتداع إلصاق ما ليس من الدين به، أما التجديد فتنقية للدين من العناصر الدخيلة عليه، وإبقاء للأصيل فيه، ولا يخفى أن الابتداع تحريف للدين، والتجديد تصحيح لذلك التحريف، إضافة إلى أن الابتداع مذموم شرعًا ومحارب، أما التجديد فممدوح ومستحسن، لذا فإن الابتداع قطع عن الأصل، والتجديد إعادة للأصل وربط به[3].

لكن ما العلاقة بين التجديد وبين التطوير؟ من يفهم التجديد على أنه التغيير أو التطوير لمبادئ الدين والمساس بثوابته وأصوله ومصادره، ليتلاءم مع معطيات العصر، رغبةً في النهضة والتقدم من هذا الطريق، فهذا مرفوض؛ لأنه من التجديد الممنوع، الذي يفقد الأمة أعظم مصادرها وعزها وقوتها، فتصبح أمة بلا دين ولا هوية، لتحريف كثير من معاني نصوصها الشرعية، أما إذا كان المراد بالتجديد الإتيان بوسائل متطورة وأساليب جديدة، لتيسير لغة الخطاب وأسلوبه، وتقريبه للذهن، وللفهم للفئة المستهدفة، مع اختلاف البيئات الزمانية والمكانية لوجود التغاير في كل مجتمع وبيئة، مع المحافظة على أصول الدين وثوابته، فهو المطلوب ولا قيد عليه إلا قيد المحافظة على الشريعة وعدم مخالفتها[4].

كما دل حديث التجديد بمنطوقه على صريح عبارة "البعث"، وهي مشتقةٌ في اللغة: من الإِرْسَالُ، يقال: بعثتُ رسولًا أي: أرسلته، وبعثت العسكر: وجهتهم للقتال، وأصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث[5]، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فَبَعَثْتُ البعير: أثرته وسيّرته، وقوله –عزّ وجل–: {وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ

---

(١) ينظر: التجديد في مجال الدراسات الحديثة (ص١٢٨)، التعريفات، الجرجاني (ص١٢).

(٢) قال الامام الشاطبي البدعة: "هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه" الاعتصام (١/ ٣٧).

(٣) ينظر: تجديد الدين مفهومه، د. سلوى المحمادي (ص٤٦)؛ التجديد في الفكر الإسلامي (ص٤٣،٤٤).

(٤) ينظر: تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف (ص ٢٨، ٢٩)؛ التجديد في مجال الدراسات الحديثة (ص١٢٦).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١/٢٦٦)؛ المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص١٣٢)؛ مختار الصحاح (ص٣٦).

إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾} [سورة الأنعام:٣٦]، أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة(١)، والمعنى في مفهوم الحديث: أن الله تعالى يحيي ويقيم، ويقيض، ويرسل(٢)، العالم المؤهل -فردًا كان أو جماعة- لدعوة الناس إلى العمل بدين الإسلام عقيدة، وشريعة، وأخلاقًا، على ما كان عليه الدين في زمن النبي ﷺ، وأصحابه، والمحافظة على أصوله وثوابته، وأن بعث الله للمجدد هو بعث تكويني، وليس بعثًا إرسالي تشريعي -الخاص بالرسل عليهم السلام-، لأن الله لا يبعث المجدد بأن يرسله، ولكنه يوفقه ويرشده ويهيئ له، فهو كقوله تعالى: {بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ} [الإسراء:٥]، مما يؤكد أن المجدد لا يتصور أن يكون إلا من علماء الدين بهذا النص الواصف.

دل أيضًا حديث التجديد بمنطوقه على صريح عبارة "الدين"، وهي مشتقةٌ في اللغة: من الفعل الثلاثي "دان"، وهو جنس من الانقياد، الذي يقوم عليه وجود علاقة بين طرفين: أعلى وأدنى، فإذا استعمل اللفظ في الطرف الأعلى كان ملكًا، وحسابًا، وسلطانًا، وإذا تعلق بالطرف الأدنى كان خضوعًا، وطاعةً، وإذعانًا، وإذا أريد به الرباط الجامع بين الطرفين كان عقيدةً، ومذهبًا، ونظامًا(٣).

لذلك فالدين ليست كلمة واحدة، بل تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب، بيانه أن لفظ "الدين" يتعدى تارة بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به: فإذا تعدى بنفسه يكون "دانه" بمعنى ملكه، وحكمه، وساسة، وقهره وحاسبه، وجازاه وكافأه، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك من السياسة والتدبير، والحكم والقهر، والمحاسبة والمجازاة، ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] أي: يوم المحاسبة والجزاء.

وإذا تعدى باللام يكون "دان له" بمعنى أطاعه، وخضع له، فالدين هنا هو الخضوع والطاعة، والعبادة والورع، والانقياد والذل، وكلمة "الدين لله" يصح منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله، ومن قبيل هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]، المعنى الثاني ملازمٌ للأول ومطاوع له "دانه فدان له"؛ أي: قهره على الطاعة فخضع وأطاع.

وإذا تعدى بالباء يكون "دان به" بمعنى اتخذه دينًا ومذهبًا واعتاده، وتخلق به سواء أكان حقًّا أم باطلًا، واعتقده(٤)، ومن قبيل هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون:٦]، ومنه: الدِّين، وجمعه الأديان، يقال: دان بكذا ديانة فهو دَيِّن، وتَدَيَّن به فهو متدين(٥)، هذا الاستعمال الثالث تابعٌ أيضًا للاستعمالين قبله؛ لأن العادة أو العقيدة التي يُدان بها، لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها، ويلتزم باتباعها، وهو الذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات، فكلمة الدِين لها معنيان لا غير، أحدهما: الحالة التطبيقية التي تسمى

---

(١) ينظر: الصحاح (١/ ٢٧٣)؛ المفردات في غريب القرآن (ص ١٣٢)؛ فيض القدير (١/ ١٠).

(٢) ينظر: شرح سنن أبي داود، ابن رسلان (١٧/ ٨٦)؛ التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي (١/ ٢٦٧)

(٣) الدين، د. محمد دراز (ص ٣٣).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ١٦٩)؛ ومقاييس اللغة، ابن فارس (٢/٣١٩)؛ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لدكتور سعود الخلف (ص ١١).

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٥/ ٢١١٩)؛ لسان العرب، ابن منظور (١٣/ ١٦٩).

"التدين"، والأخرى: تلك الحقيقة الخارجية عن أفعال البشر التي يمكن الرجوع إليها في العلاقات والمعاملات أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها جملة المبادئ التي تَدين بها أمَّةٌ من الأمم، اعتقادًا أو عملًا[1].

وما يهمنا هو الإطلاق الخاص للدين: الذي يراد به دين الإسلام، الذي بعث به خاتم النبيين محمد ﷺ، والمقصود الذي يشير إليه حديث التجديد بلفظ "الدِّين" دلالة مفهومه على معنى "التدين" على سبيل الترادف، وبدليل إضافة الرسول ﷺ الدين لأمته التي هي أمة الإسلام في سياق الحديث، ليشير إلى أن "التدين" ما هو إلا تطبيق نصوص الدين، وأيضًا فإن خلط الدين كنصوص في أذهان الكثير من الناس، بالدين كممارسة بشرية؛ أدى إلى استحباب بعض العلماء الفصل بين المعنيين بتخصيص "الدين" في الفكر الإسلامي الحديث، للدلالة على مجموع نصوص الوحي من الكتاب والسنة، وتخصيص "التدين" كما هو في اللغة بالدلالة على التطبيق البشري للدين[2].

ومن خلال ما سبق نستوعب بأن مفهوم دلالة التجديد في الحديث مقصُودةُ أن الذي يقع عليه التجديد هو علاقة الناس بالدين، وليس الدين نفسه –الذي شرعه الله وأكمله–؛ فإن التغيير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على علاقة الأمة بدينها، وهذا المعنى يكون في الذهن تصورًا من ثلاثة عناصر: وجود وكينونة، ثم بلى ودرس، ثم إحياء وإعادة[3]؛ لأن الإسلام نفسه محفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المبينة له، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩} [سورة الحجر:٩]، وهو بطبيعته دين الفطرة الإنسانية، ومن هنا وحيث أن الزمن والمجتمعات تتغير فإن الإسلام يشجع على التجديد المستمر وذلك بإحياء الدين وإعادة فهمه بما يتناسب مع احتياجات كل عصر، دون المساس بجوهره وأصوله الثابتة، من أجل الوصول إلى الأفضل في جميع مجالات الحياة.

المطلب الثاني: دلالة الالتزام لمعنى الحديث

وحيث أن هذه الدراسة مهتمة بنصوص حديث التجديد وما يتعلق بها من مسائل، وبعد أن انتهينا فيما سبق من دلالة منطوق "التجديد، والبعث، والدين"، الذي أفاده النص ودل عليه، تأتي أهمية العلم بدلالة الالتزام بين المعنى المستفاد من عبارة النص، وهو المعنى الصحيح الواضح الذي نطق به النص، وبين هذا المعنى الذي دلنا عليه النص، وعرفناه بالتأمل في معناه، وأنه لازم للمعنى الذي سيق الكلام في حديث التجديد لأجله[4].

عليه فقد دل حديث التجديد على حفظ الله لهذا الدين وأفضليته، ونصرة أوليائه المجددين، بدلالة البشارة النبوية بالوعد المتكرر كل مائة سنة، باستمرار هذه الأمة، وبقاء هذا الدين، وعلوه على غيره من الأديان، عن طريق تفاعله المستمر واستيعابه لحركية الحياة المتجددة مع اختلاف الزمان والمكان، بما يستنبطه المجددون لمشكلاتها من حلول تصطبغ بصبغة الوحي، وما يقومون به من تنقية لهذا الدين من العناصر الدخيلة عليه، وهذ يؤكد أن التجديد هو ما يقوم به علماء الدين فقط، وأنه لابد من انتساب المجدد للدين الإسلامي.

---

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان، د. محمد دراز (ص٣٢، ٣٣).

(٢) ينظر: الدين والتدين، أحمد الباقوري (ص٩).

(٣) ينظر: التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد (ص ٤٠)؛ مفهوم تجديد الدين (١/ ١٧).

(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام؛ للآمدي (٣/٦٤)، والتقرير والتحبير؛ لابن أمير الحاج (١/١١١).

وفيه دلالة على انقطاع النبوة، بدليل أن البعث للمجددين وليس للأنبياء، وأن التجديد يكون في دين الإسلام في قوله: "دينها" فختمت رسالة ديننا الإسلامي بضمانات لخلوده وامتداده، فحفظ القرآن الكريم عن التحريف والزوال، وشُرِع الاجتهاد كوسيلة للتجديد ومعرفة حكم النوازل لإقامة التطابق الدائم بين الشريعة والواقع، والنبوة لا تُنال بعلم ولا رياضة، ولا تُدرك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها، وإنما هي محض فضل إلهي، ومجرد اصطفاء رباني، لا تأتي باختيار النبي(١)، ولا تُنال بطلبه، بخلاف المجدد.

وفيه دلالة ضمنية على وبقاء طلب العلم الشرعي في كل زمان، وأن أساليب تعليمه تتجدد بتجدد الزمان وتطور المكان، مما يستلزم استمرار تعلم وتعليم العلم للقيام بالتجديد المستمر؛ لأن العلم لن يرفع بذهاب العلماء وموتهم.

وفيه دلالة على أن تجديد الدين لا يكون إلا بالدين الإسلامي، وليس بالمناهج الغربية أو غيرها من الأديان المحرفة أو الوضعية، بدلالة أن الله هو من يختار المجدد "إن الله يبعث"، ونسبة التجديد في الحديث إلى "من يجدد لها دينها"، فعودة الضمير في دينها إلى الإسلام.

وفيه دلالة على شرف التجديد، وأنه مسلك شرعي مأمور به، بدلالة إرادة الله الكونية والشرعية في الحديث بقوله ﷺ: "إن الله يبعث"، وهذا يكشف لنا أن المعارضين لتجديد الدين مخالفين لمقاصد الشرع.

وفيه دلالة على أن التغيير واقع ثم استصحاب تجديد الدين مع ظروف التغيير هذه، وهذا يستلزم من المجدد التفريق بين الثابت والمتغير، فثوابت هذا الدين هي العقائد والحقائق الإيمانيَّة، وما عُلِم من الدِّين بالضرورة وما استقرَّ عليه المسلمون عبر قرونِهم المتطاولة، وخاصةً عصر الصحابة والتابعين، مِن فَهْمٍ للدين، وتطبيقٍ عملي له، دون أي خلاف، فهذه يجب أن تبقى كما هي إلى قيام الساعة، وتَجديدها يكون ببيانِها وتعليمها للناس، والدعوة إلى تطبيقها، والدِّفاع عنها في وجه العابثين.

وفيه دلالة على أنه لا يخلو الزمان من مجدد، بدلالة "المائة سنة" في الحديث التي تشير إلى متوسط عمر الفرد والجيل البشري، فلم يكد يخلو عصر من مجددين، ويوجد مجدد واحد على الأقل في كل قرن، غير أن هؤلاء المجددين يتكثفون في عصور الازدهار، ويقلّون في عصور الانحدار.

وفيه دلالة على أن التجديد الموعود لا بد وأن يكون على حين فترة من العلماء المجددين، واضمحلال لشأن أهل الحق وحماة السنة والدين، بدلالة ارتباط بعث الله للمجددين في هذا الحديث بسبب الحاجة لوجودهم، ما يشير إلى أنه يقع على حين فترة من المجددين فيبعث الله من يجدد(٢).

وفيه دلاله على أن الناس والأفكار تتغير كل قرن من الزمن، فيلحق الدين من التحريف والتغيير والنسيان، ما يقتضي تجديده، فارتبط هذا الحديث باب الفتن من أشراط الساعة؛ لأن تغير الزمان والتدين تبع لذلك ويؤيده.

فيه دلاله ضمنية بأن هذا الدين لن يزول بكيد الأعداء، وفي هذا بعث التفاؤل في نفوس المسلمين، ورد ثقتهم بأنفسهم وماضيهم ورجائهم في مستقبلهم.

---

(١) ينظر: النبوات لابن تيمية (١/٩، ١٩٥-١٩٦).

(٢) ينظر: التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة للسيوطي (ص ١٩).

المبحث الثاني: مقاصد تجديد الدين ولوازمه

الإنسان مقود أبدًا بأفكاره ومعتقداته، صحيحةً كانت أو فاسدة، فهو في طبيعته كائن متسائل ومستفهم، وباحث عن الحقيقة والحكمة، فالشعور بالسببية، والتطلع إلى البحث عن الغاية أمور متجذرة في النفس البشرية، لا تنفك عنها أبدًا، وهذا كما يقع للأفراد يقع كذلك لأي أمة من الأمم، إذا حملت أفكارًا، والدين بما يشتمل عليه من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وأخلاق يمثل في جوهره نظامًا اجتماعيًا، ينظم العلاقات، ويحدد الحقوق والواجبات بين أفراده، فكانت النظم الدينية هي أهم النظم الاجتماعية على الإطلاق(١)، وستبقى الأديان قطبًا أساسيًا في الحياة، بسبب ما يمكنها أن تمنحه للإنسان من توازن، لكن حكمة الله اقتضت جعل الفطرة الإنسانية قابلة للتأثر والتغير والانحراف بفعل مؤثرات خارجية؛ ليتحقق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشر، ومن ثم جزاؤه على عمله؛ ولندرك أيضًا أن ظهور الأديان الباطلة في حياة البشرية، إنما هو استجابة لفطرة التدين والتعبد في النفس البشرية، فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عز وجل، فإنه يُعبِّد نفسه لأي معبود آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التدين، وذلك كمن استبدَ به الجوع، فإنه إذا لم يجد الطعام الطيب الذي يناسبه، فإنه يتناول كل ما يمكن أكله ولو كان خبيثًا ليسد به جوعته، وهذا ما يفسر لنا نزعة التدين عند عموم البشر وتلاقي الأديان على الفطرة، ومن عجائب هذه الفطرة كذلك أنها مرجحة للحق، فإذا تعرف الإنسان على دينين حق وباطل، فإن الفطرة تميز بينهما، وتميل إلى الحق، بل يقع ذلك في قرارة النفس، ويتيقن القلب منه، فإما أن يعلن ذلك ويلتزم به، أو لا يستجيب له بسبب هوى، أو خوف، أو إلف وتقليد ونحو ذلك من الصوارف عن الحق، كما قال عز وجل عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل:١٤] (٢)، فبعث الله بنص حديث التجديد كل فترة من يعيد الناس إلى الحق ويبصرهم بالتدين الصحيح.

المطلب الأول: مقاصد التجديد المشروع ودوافعه

يتميّز دين الإسلام عن غيره باعتباره للمقاصد، بحفظ الكليات الخمس من ناحية الوجود والعدم(٣)، وقد شُرِع تجديد الدين في ضوء هذين الجانبين، تحقيقًا لمصلحة بقاء هذا الدين بصيانته عن الإهدار والتفويت، ودرء التناقض عنه، لأجل ذلك فإن التجديد مرتبط بمقاصد وغايات سامية، وإن من أهم تلك المقاصد الخاصة بتجديد الدين ما يلي:

- **تحقيق مقصد العبودية والتقرب لله تعالى**، برفع التغيير الواقع على الدين عن طريق تنقيته مما التصق به، أو ألغي منه، حفظًا لثوابت هذا الدين، لتكون قاعدة تقوم عليها كل المتغيرات التي تفرضها الظروف والأوضاع، فيكون التجديد توفيق بين الحكم الشرعي والواقع المتغير، وتظهر بذلك الفوارق بين القضايا المتغيرة والقضايا الثابتة، وبهذا التمايز تزداد وثاقة الارتباط بالثوابت وقدسيتها في النفوس، والتخلق بمضامين العقيدة.

---

(١) ينظر: الدين، د. محمد دراز (ص١٠١-٨٠).

(٢) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية د. سعود الخلف (ص ١٩-٢٠).

(٣) حفظها من جانب الوجود يكون بجلب ما يحفظها وينميها، وحفظها من جانب العدم يكون بدفع ما ينقضها ويخرمها. ينظر: الموافقات للشاطبي (٢/ ١٧-٢٠)..



- **تحقيق العمل بامتثال أوامر الله** في الدعوة للدين الصحيح، فالعمل التجديدي المقصود ما هو إلا توجيه مباشر دلّت عليه آيات القرآن الكريم بالأمر باتباع ما أنزل الله جل وعلا، والتمسك بالدين والعمل به، والدعوة إليه قولًا وعملًا، والدفاع عنه وحمايته، قال سبحانه: {فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾} [الزخرف: ٤٣] وقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [الحجر:٩]، ولا شك أن هذا حافز قوي على ظهور المجددين وقيامهم بأعمال التجديد[١]، وإذا ما تمت إضافة استقراء التاريخ العلمي لأهل السنة إلى ما سبق من الأمر القرآني، نجد ظاهرة أن أدنى الناس إلى السنة، وأوفاهم فهما لها، وأحرصهم على تحري منهجها، والالتزام بها، أقواهم عزمًا على التجدد، وأسلمهم طريقة فيه، وهذا من البراهين الساطعة على أن السنة مصدر لتجديد الدين[٢]، ولعل من أعظم مصادرهم في ذلك قوله ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، وقوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة)، ونحو ذلك من الأحاديث الكثيرة الحاملة على التمسك بالدين وتبليغه والدعوة إليه، والدالة على نقص العلم، وظهور الجهل، وافتراق الأمة، وحدوث الشرور والفتن، وكلها نصوص تحفز على التجديد، ويصدر عنها المجددون للمحافظة على هذا الدين العظيم وتجديده في الأمة، ومن هذين المصدرين –القرآن والسنة– يأتي الفقه الإسلامي بصفته مصدرًا للتجديد –أيضًا–، يصدر عن الوحيين، ومن ثَمّ فإن صحة انتساب المجدد إلى الإسلام، هو انتساب علم واتباع، مبني على قاعدة فهم الإسلام في ضوء المنهج الذي لا يصح فهمه إلا به[٣]، ولذا فإن الفقه الإسلامي مصدر لتجديد ما ظهر من معاملات الدين الظاهرة الأقوال والأعمال، والتي هي آثار الاعتقاد، وخاصة أعمال القلوب الحب والبغض والخوف والرجاء والولاء والبراء، وما يترتب على هذه الأمور العقدية من أعمال الجوارح. إحياء ما اندرس عند كثير من الناس، إذ لا يكفي الاعتقاد المجرد دون أن تظهر آثار ذلك الأصل.
- **حفظ نظام الأمة وتنميته**، عن طريق تجديد وتغيير مفاهيم المصالح والحاجات النسبية التي هي مناط التجديد؛ لأنها الوسيلة لضمان المتطلبات الأساسية والمصالح المتجددة للناس، فهي حركة دائمة نحو التغير والتطور والاتساع، ولا يمكن المحافظة على الدين، إلا إذا اتجهت رعايته في اتجاهين متوازيين، الحفاظ عليه من النقض، والاتجاه الآخر هو التنمية له والتحسين، ومن خلال الواقع نجد أن أغلب ما ينتظم تلك المصالح ويهيمن عليها: السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، ولا صلاح لنظام الأمة إلا بصلاحها جميعًا، فهي ترتبط ببعضها بمستوى التأثر والتأثير، أو الفعل والانفعال، وإحياء الفهم الصحيح للإسلام، وأنه الحاكم في جميع شؤون الناس، في الحكم والسياسة والاقتصاد، والإعلام، والاجتماع، وغير ذلك، ويتضمن عدم إخضاع فهم الإسلام للواقع، ونفي جميع الأشياء التي دخلت في فهم الناس للإسلام من فلسفات البشر وآرائهم، وهي ليست منه.

---

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، بكر عبد الله أبو زيد (ص١)؛ تجديد الفكر الإسلامي، عبد الله التركي (ص٢٤).

(٢) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، التركي (ص٢٤).

(٣) وجماع المنهج في أربع: (أ) أصول اللغة العربية، (ب) أصول التفسير، (ج) أصول السنة، (د) أصول الفقه، فليس مجددًا ذلك الذي يعلم كل شيء إلا الإسلام، أو الذي يعلم الإسلام بغير هذا المنهج. ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، التركي (ص٢٠-٢٢/٢٥).

- **إزالة الشوائب ومواجهة التحريف** التي تراكمت مع مرور الزمن بسبب سوء الفهم وقلة العلم والجهل بقواعد الاستنباط الصحيحة، بإضافة إلى طول العهد وبعد الناس عن زمن النبوة أو زمن التجديدات السابقة، من تفسيرات خاطئة وممارسات بدعية لا تمتّ للدين بصلة، فكان التجديد مساعدًا على تصحيح هذه المفاهيم والممارسات، وإعادة الدين إلى أصله الصحيح، وإخبار النبي ﷺ أن التجديد ضرورة دينية، لازمه أمرنا بمواجهة التحريف بشتى صوره، وتحذيرنا أيضًا من خطر تبديل الدين وتغيير أحكامه، والتصدي للتيارات العقدية الوافدة المنحرفة، التي يصدرها أصحاب الملل والنحل والمذاهب الفكرية، وقد تتسمى بالإسلام كذبًا وزورًا.
- **رعاية مصالح الأمة** العامة وتلبية احتياجاتها، وتحقيق سعادة البشرية في الدارين، والدعوة إلى الاجتهاد المقاصدي(١) في مجال المصالح العامة، والموازنة بين المصالح، فيعرف للأصول أهميتها وللفروع قدرها، لا تجور إحداهما على الأخرى، وظهور آثار اهتمامه بتحسين الوضع الإنساني ماديًا ومعنويًا، ففي أصول الفقه الإسلامي ضوابط دقيقة، كتقديم درء المفاسد على جلب المصالح، وسد الذرائع تحرزًا من الوقوع في الفساد، ورفع الحرج والمشقة عن الناس، وغير ذلك من المبادئ الأصولية المطابقة للشرع والطبع، ما كان لها من عظيم الأثر في معالجة النوازل المستجدة، بما يحفظ على الناس الدين والعقل والمال والنسل، بل ينال الإنسانية كلها في معاشها وسعيها، وعلاقات أفرادها بعضهم ببعض(٢).
- **إعادة تشكيل العقل الإسلامي المعاصر**، أثارت فكرة التجديد طوال العقود الأخيرة من عصر النهضة جدلًا واسعًا في الساحة الفكرية والثقافية للعالم الإسلامي، وظهر الوعي بالتجديد من بداية القرن الماضي على يد نخبة من رجال النهضة والإصلاح حاملة لواء التغيير والإصلاح بعد الاتصال بن العالمين الغربي والإسلامي، والشعور الرهيب بالعجز والتخلف عن الركب الحضاري، فبدأت صيحات التجديد لتجاوز العقبات التي وقفت في طريقهم، مما جعلت التجديد أحد إشكاليات العصر البارزة في الساحة الفكرية، وما تزال الفكرة حية إلى وقتنا الراهن تستقطب الأنظار والأفكار، تحت مصطلحات متنوعة، ومع أن هذا المقصد مشترك بين كل مدارس التجديد، إدراك منهم لقيمة العقل، وضرورة إعادة تشكيله؛ حتى يصل إلى التغيير المنشود، والنهوض المطلوب، إلا أن المقصد في التجديد المشروع أن يصل العقل الإسلامي مسيرته المعاصرة بينابيعها الأولى الصافية، بينما المفارقة أن دور الزاعمين للتجديد يتمثل في قراءة النص قراءة عصرية، ونقدهم لأفكاره وليس إنتاجًا فكريًا عن طريقه وحلًا للنوازل المعاصرة وفقًا لطرق الاستدلال الصحيحة، بسبب الجهل المركب لدى أرباب الاعتقادات الباطلة، وانطلاق كثير من أصحابها (أصحاب المشاريع التجديدية) من الخبرة الغربية فكان التجديد بهذه الصورة قطع للطريق أمام محاولات الإصلاح الجادة الصحيحة، ودَفع بهذا العقل إلى مزيدٍ من المتاهات والانحرافات، حتى يظل تائهًا عن الطريق، مقطوع الصلة بالمصادر التي شكّلت ميلاده ومسيرته وحضارته.
- **الحفاظ على طرق الاستدلال الصحيحة من النصوص**، بألا يخرج التجديد عن القواعد العامة للإفتاء "أصول الفقه"، مما يعود بالتعظيم على نصوص الكتاب والسنة، والإيمان بجميع ما ورد فيهما، مع مراعاة دلالة السياق

---

(١) الاجتهاد المقاصدي هو إعمال المقاصد منهجًا نظريًا في تناول الموضوع أيًا كان، ومنطقًا في قلب عملية التفكير فيه، ومعيارًا لسلامة النظر الجديد من عدمه.

(٢) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، التركي (ص٤٦-٤٧-٦٥-٦٦).

في الاستدلال، وجمع النصوص الواردة في الباب الواحد، ودفع توهم التعارض بين النصوص، واختلاف المجتهدين بعد الأخذ بطرق الاستدلال الصحيحة، يعزز النقاش والوصول إلى الحالة المثلى المطلوبة في تجديد الدين؛ إذ الاختلاف والتنوع مصدر قوة وليس دليل ضعف.. تجديد منهج التلقي والاستدلال، وإبراز العقيدة الإسلامية وفق ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، بعدما تخبطت كثير من الفرق المنتسبة للإسلام في مناهج تلقيها واستدلالها.

- **استعادة دور الأمة التاريخي** بتجديد هذا الدين؛ لأن قوتها مرتبط بمدى سلامة علاقتها بالدين الصحيح، ومدى تطبيقها الواعي لقيمه وأحكامه، ورغم حرص الأمة على تغيير حالها وإصلاح شؤونها، إلا أن غالب أمراض الأمم لها عوامل وأسباب ليس في وسع أغلب الناس معرفتُها ووضع اليد عليها، وإنما يقف عليها ويدرك خصائصها وطرق علاجها، من جمع الله لهم إلى بصيرة العلم الصحيح الإحاطة بالواقع، وبالسنن الإلهية التي تحكم حركة الحياة، وكثيرًا ما يكون ذلك وقفًا على عدد محدود من الناس، يدخرهم الله تعالى لإنقاذ أمّتهم، وإصلاح أحوالها، ومن هنا تظهر قيمة التجديد باعتباره أداة لاستيعاب جوانب الخلل في الأمة، ثم إصلاحها استعانة بهداية الوحي الإلهي والمنهجية التي رسمها للتغير والإصلاح، إذ ليس التجديد في النهاية إلا إعادة الأمة إلى سابق عافيتها ودفعها إلى مزيد من القوة والصلاح والرشاد؛ لأن التجديد بمعناه الصحيح ما كان يستهدف إصلاح النقائص التي تعاني منها الأمة على الحقيقة.
- **المحافظة على القوة والانتصار**: أدخل أبو داود رحمه الله (ت: ٢٧٥) الحديث في كتاب الملاحم، ويراد بها المعارك والأحداث الجسام التي تقع في المستقبل بين المسلمين وأعدائهم، ومن لطائف ذكر العلماء هذا الحديث في هذا الموضع، لدلاله على أن الملاحم والحروب التي أخبر عنها الرسول ﷺ تهدف بالأساس إلى القضاء على هذا الدين، أو تشويهه؛ لذا فإن المجدد ليس بعيدًا عن الأحداث الجسام التي تتعرض لها الأمة، وعن الحروب المعلنة على الإسلام، للدفاع عن هذا الدين، وعن ثوابته، فيحيون ما اندرس منه من المعالم بفعل أعداء الإسلام وحروبهم، وكأن الإمام أبي داود بتقديمه هذا الحديث على كل أحاديث الملاحم، يريد أن يبشر بالمكانة والريادة لأمة المسلمين، ويؤكد السنن الربانية القائلة بانتصار الدين الإسلامي في نهاية تلك الحروب، وأنَّه إذا وقعت فتنة جبرها الله بمن يجدّد الدِّين[1]، فكان المقصد من التجديد هو حفظ القوة والانتصار لهذا الدين.

ونخلص إلى أن مقاصد التجديد الموعود، من شأنها فتح الآفاق الواسعة أمام الإرادة الإصلاحية، في جميع المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والثقافية، والأدبية وغيرها، مما يمكن للأمة أن تستفيده من الحضارات الأخرى، علميًا وثقافيًا واجتماعيًا ونظاميًا، بما لا يتعارض مع ثوابت الدين ومسلماته، لتسهم في بناء النهضة، ومعالجة المشكلات، على اختلاف أنواعها، وفق أسس من الدين متينة.

المطلب الثاني: المعارضين للتجديد الأسباب واللوازم

كثيرون هُم الذين يرَون في تجديد الخطاب الديني صِيغة مشبوهة، تسعى إلى تحوير الدين وتحريف معانيه، بحجة أن التجديد سبب لضياع الدين، ويعود هذا إلى مفهوم التجديد، وأنه ما زال ملتَبِسًا في أذهان كثير من خصومه،

---

(١) ينظر: مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٣/ ١٠٧٠).



إذ لا يميّز هؤلاء بين مفهومَي تجديد الدِّين بمعنى استبداله، وبين تجديد الدين بمعنى علاقة المسلمين به وهو التَّديُّن، إذ ثمة مسافة لم يدركوها تضيق حينًا، وتتسع أحيانًا أخرى، بين الدين بعقائده وشرائعه المنزلة، وبين التدين بأدائه البشري عبر العصور، وما ينتج عنه من إضافات يلحقها المتدينون بالدين، أو اجتراح تحريفات وتشويهات لأصول دينية، تغدو مع الوقت شيئا مغايرًا لما هي عليه في حقيقة الدين المنزل، وهذا من أهم أسباب المعارضة.

وقد تعود أسباب المعارضة إلى أنهم من مقلدي المذاهب المتعصبين لها، المقدسين للأشخاص، والمبالغين في الأخذ بآرائهم واجتهاداتهم كنصوص مقدسة، فتجدهم دائمًا ما يفزعون من كلمة التجديد، فكيف إذا ارتبطت بالدين؟

وقد يكون الجمود على ظواهر النصوص دون مقاصدها، سبب مهم من أسباب عدم التجديد للدين، مما يؤدي إلى صدور فتاوى مصادمة لواقع الحياة، ومقيمة للحواجز الضخمة دون المصالح البشرية والحاجات الإنسانية، مخرجةً الأحكام من سعة العدل إلى ضيق الجور، ومناقضة لما عهده الناس من سماحة الشريعة وواقعيتها.

وقد كان في الوسع تلافيه لو أن فريضة التجديد وجدت من يحييها وينهض بها بدلًا من النكوص عن إقامتها، الذي أدى إلى طلب كثير من أبناء المسلمين الحلول خارج هدي الشريعة، باستيرادها من الشرق الملحد أو من الغرب المسيحي، افتتانًا بحضارة الغالب واعتقادًا بعجز الإسلام عن مواكبة العصر.

المطلب الثالث: دوافع دعاة التجديد، وآثار ذلك

التجديدُ سنةٌ كونيةٌ لازمةٌ وضرورةٌ قائمةٌ، إلا أن الاختلاف في فهم المقصود الشرعي منه، أدى إلى وقوع الاضطراب في الرؤى، واختلال موازين التصور فظهرت فئة في هذا العصر –دعاة التجديد–، تُحمل التجديد الوارد في السنة ما لا يحتمل؛ إذ يعتقدون بأن تجديد الدين وتطويره يطال كل شيء في الدين، لا فرق بين أصوله وفروعه، بزعمهم أنها تحتاج إلى التبديل والتغيير بدعوى أنها مرتبطة بالظروف القائمة في كل مرحلة تاريخية، ومن ثَمّ فهي دائمة التغير والتبدل، فمن هنا كان لابد من بيانِ مرد دعواهم في الزيادة على الدين والحذف منه، إما إلى دوافع مقصودة أو غير مقصودة.

والدوافع غير المقصودة، وتأتي غالبًا إما بدافع ترغيب الناس في الدين مخالفين بذلك منهج الاستدلال الصحيح، أو من الجهل بالأحكام الشرعية ومقاصدها، أو من الاعتماد على العقل وتقديمه على النص، أو من اتباع الهوى، أو بسبب الصراعات المذهبية والتعصب التي أورثت ردة الفعل والكبر والحسد والبغي، أو من التساهل في محاربة البدع، أو الخطأ في الفتوى والاجتهاد، أو بسبب إهمال البحث الشرعي والإبداع الفقهي التجريبي، أو الخلط بين المحكم والمتشابه، أو بسبب التأثر بالديانات الأخرى والثقافات، أو علاج ما يلاحظ من الانحطاط الفكري والعلمي العام لأمة الإسلام بتقليد الغرب، وغيرها من الأسباب غير المقصودة في التجديد البدعي الذي لم يقصده الحديث النبوي.

مما تنتج عنه دعاوى للتجديد، مثل: دعوى التسامح الديني، أو القول بنسبية الحقيقة، أو زعم تاريخية النص، أو تأول نظرة مقاصدية للنصوص الشرعية، أو طلب الرخصة، أو التذرع بعموم البلوى في طلب التيسير، والتخفيف من شرائع الدين، أو طلب تحقيق المصلحة وإن كانت مخالفة لثوابت الدين، أو الزعم بوجوب إخضاع الدين للواقع، والمطالبة بتغيير واقع التدين، والدعوة إلى رؤية أصولية جديدة– وفقه جديد– وتغيير الخطاب الديني– وفتح باب الاجتهاد بلا قيود... إلخ، والتجرئ على نقد كل قديم؛ لكونه قديمًا، بل وينصون على بعض المسائل العقدية

والشرعية، كعلاقة المسلم بالكافر، والولاء والبراء، وما يسمونه بالفقه القديم وأصوله، ونحو ذلك، وأيضًا لم يسلم منهم بعض صحابة الرسول ﷺ وسلفنا الصالح، كل ذلك يقررونه باسم تجديد الدين، أو تجديد الفكر الإسلامي[1]، وهو في الحقيقة مما يعود على الدين بالنقص، وليس بالتجديد الموعود في نص حديث التجديد النبوي.

أما ما يخص الدوافع المقصودة، فمناطها هو: ميزان القوى السياسية، فتأتي تارة عن طريق تغيير الدين تغييرًا ناعمًا: وذلك بإضعاف الإسلام في نفوس الناس، بوسائل عديده، منها: تصدير نموذج الإسلام الليبرالي اليميني، ومنها صناعة ودعم النموذج اليساري الإسلامي (الإرهابيين)، وتارة تأتي عن طريق التغيير الخشن: الذي يتخذ تارة شكل الاستعمار والحرب الواضحة على المسلمين، وتارة أخرى بالهجوم المعلن على القرآن الكريم، وعلى الرسول الكريم ﷺ، كل هذا بهدف تغييرِ واقعِ التدين، والقضاءِ على العديدِ من الثّوابتِ والمعتقداتِ، حاقدينَ على كلِّ ما هو شرعيٌّ ودينيّ[2].

ومع انتشار بعضُ النداءاتِ المعاصرةِ الخادعةِ، التي ظنَّ كثيرٌ منَ العامةِ أنّها من مقتضياتِ العصرِ، ومتطلباتِ الشريعةِ، يتضح باستقرائها أن مناهج المدعين للتجديد، لا تعدو أن تكون أحد ثلاثة اتجاهات، فإما أن تكون عقلانية أو واقعية أو عصرانية.

فأما **الاتجاه العقلاني** فيضم كل من جعل العقل أساسًا للنقل، فما اتفق مع أحكام العقل كان مقبولًا، وما لم يتفق معه يلزمه التأويل، كما يشمل من حاول المواءمة بين حقائق الإسلام وتصورات الحضارة الغربية، لإثبات صلاحية الإسلام لكل الأزمنة، مع ما في تلك المواءمة من انحراف أحيانًا، وانبهار بواقع الغرب وحضارته أحياناً أخرى، متجرئً على النصوص الشرعية وأصول الدين وفهم السلف وإجماع الأمة، متحاكمًا إلى العقل البشري[3].

وأما **الاتجاه الواقعي** فينضوي تحته الأشخاص الذين لم يروا في المنهج العقلاني قدرة على تطبيق الحقائق والأحكام الشرعية، بحيث تتطابق مع الواقع من ناحية ومع الحقيقة الإسلامية من ناحية أخرى، مؤكدين أن المنهج الواقعي كفيل بالإجابة على إشكاليات المرحلة الراهنة في حياة الأمة المسلمة، فاختطوا منهجًا أعلى من شأن الواقع، وراعى متطلباته وضغوطه، واهتم بالمتغيرات الاجتماعية[4].

---

(١) ينظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر (٣٠٣-٣٠٨، ٣٤١)؛ التجديد في الفكر الإسلامي (ص٣٩٩)؛ مفهوم تجديد الدين (ص ١٢٥).

(٢) ينظر: التجديد في أصول الفقه، أحمد محمد اليماني (ص ٤).

(٣) ينظر: الفرق الإسلامية مدخل ودراسة، علي عبدالفتاح المغربي (ص ٢٠٣)؛ محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته دراسة وتقويم، د. هزاع الغامدي (١/١٤-١٦)؛ التراث والتجديد، حسن حنفي(ص١١٩).

(٤) ينظر: مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية، د. عبد الباسط بدر (٨٢/٦).

وأما **الاتجاه العصراني**(١) فهو الاتجاه الذي يعتقد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، وقد عرف العالم الإسلامي في تاريخه الحديث طبقة من المفكرين، تسعى إلى محاولة إيجاد مواءمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر، وذلك بإعادة النظر في تعاليم الإسلام، وتأويلها تأويلًا جديدًا.

ويلحظ المتأمل للاتجاهات الثلاث، بأنّ تجديد الدين عند دعاة التجديد: هو تطويره وتعديله بالزيادة عليه والحذف منه، ليتلاءم مع المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة في العصر الحديث، دون أن يستند إلى أساسٍ ثابتٍ من القرآنِ والسنةِ، مستخدمين العقل لإخضاع الدين، رغبة في مسايرة الواقع وافتتنًا بالحياة الغربية والتأثر بمدارسها الفلسفية، مما ترتب عليه التشكيك في العقيدة الصحيحة وزعزعة الثقة بها، والطعن في السلف والعلماء ورد الإجماع، والتشكيك في السنة الشريفة، وإقصاء الشريعة وعزلها عن حياة المسلمين(٢)، فكان ذلك سببًا في ظهور الابتداع والترويج له باسم التجديد، والله المستعان.

ونخلص إلى أن أعظم ما أوقع أدعياء التجديد في هذه المغالطات والمفاهيم الخاطئة، هو أنهم لا يملكون مؤهلات التجديد، ولا يعرفون شروطه وحدوده، فأصبح تجديدهم تحريفًا وتغييرًا، وأصبحوا هم -شعروا أو لم يشعروا-، مطية لأعداء الأمة لإفساد دينها والعبث بثوابتها، ناهيكم عمن قصد تحريف الدين، وتعمد إنكار أصوله منهم، وتتجلى خطورة أدعياء التجديد من خلال ادعاءهم أن الآيات القرآنية من المشتبهات، قابلة لأكثر من تفسير، وأن السنة مشكوك في مصادرها(٣).

---

(١) الاتجاه العصراني فهو الاتجاه الذي لم تتحدد معالمه لدى كثيرين، ووقع فيه خلط كبير بين اتجاهات متباينة، فالبعض يجعله امتدادًا للعقلانيين، وآخر يطلق عليه اتجاه دعاة التطوير الذين يؤمنون بالتطور نحو حضارة الغرب، ويصنفهم ثالث تحت الاتجاه التغريبي، الذي يعتمد التغريب كوسيلة لتقدم الأمة الإسلامية، ورابع يؤكد أنهم أصحاب الاتجاه التغريبي المعادي للإسلام بصفة مطلقة، وخامس يدرسهم تحت مسمى اليسار الإسلامي، والخلاف في المصطلح ترتب عليه خلاف في الأشخاص المنسوبين إليه. ينظر: مفهوم تجديد الدين (١/١٢٠)، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر (٣٠٣-٣٠٨، ٣٤١)؛ التجديد في الفكر الإسلامي (ص٣٩٩)؛ مفهوم تجديد الدين (ص ١٢٥).

(٢) ينظر: العصرانية ودعوتهم إلى التجديد، د.سيف الدين خشان (ص١٠٤-١٠٥)؛ التجديد في الفكر الإسلامي (ص ٣٧٨ وما بعدها)؛ العارف بالله أبو العباس المرسي، عبد الحليم محمود (ص١٧)؛ الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، محمد شحرور (ص٤٤٥).

(٣) ينظر: الإسلام دين الفطرة والحرية (ص١٣٧-١٤١-١٤٢).



المبحث الثالث: المسائل المتعلقة بالتجديد الموعود، وفيه مطلبان

جاء هذا الحديث باعثًا للأمل في نفوس الأمة، بأن جذوتها لن تخبو، وأن دينها لن يموت، وأن الله يقيض لها كل فترة زمنية من يجدد لها دينها، والحديث على وجازة ألفاظه إلا أنه حوى معاني غزيرة، وفيما يلي ذكر لبعض المسائل المتعلقة بالتجديد الموعود في الحديث النبوي.

المطلب الأول: المسائل المتعلقة بالمبعوث الموعود

وهنا تأتي أهمية بعث المجددين، الذين يحيون في الأمة كلمة الحق: لا إله إلا الله، قولًا واعتقادًا وعملًا.

مسألة: البعث التكويني للمجدد وتعيينه.

عندما نتساءل عن عمليات التجديد التي نُظر إلى ورودها عبر التاريخ، هل حصلت على سبيل الإرادة العلمية الواعية للعلماء وبشكل منهجي؟ أم أن المسألة مجرد تجديد تلقائي، وتراكم تاريخي لا يخضع لضوابط ثابتة وشروط محكمه؟ تأتي الحقيقة لتبين أن حديث التجديد النبوي يعتبر من أحاديث القدر، والإيمان بالقدر لا ينافي عمل المجدد الموعود، وتوفر الشروط والصفات التي تجعل منه ركيزة أساسية في عملية التجديد، ذلك أن بعث الله للأنبياء بعثٌ تشريعي إرسالي، بينما بعثه عز وجل للمجدد بعث تكويني، يُقدر الله فيه لهذا المجدد توفيقه وتكوينه وإرشاده، قال النبي ﷺ: (مَن يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهْه في الدِّين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على أمر الله، لا يضرُّهم مَن خالفهم حتى يأتي أمر الله)(١)، وقال ابن عاشور (ت ١٢٨٤هـ): "وهو المراد هنا؛ لأن الله لا يبعث المجدد بأن يرسله، ولكنه يوفقه ويرشده ويهيىء له، فالبعث هنا بعث تكويني لا بعث تشريع فهو كقوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]"(٢).

وإرادة الله في تعيينه للمجدد بتهيئة الأسباب المواتية، وإتاحة الظروف المناسبة، وخلق المناخ الملائم لتحقيق التجديد وفق سنن الله تعالى التي لا تتبدل، هي إرادة كونية قدرية ومطلب شرعي، وهذا ينقلنا إلى السؤال عن إمكانية تعيين المجدد المقصود بالحديث ومعرفته، وأسباب اختلاف العلماء في ذلك؟

وحيث أنه لا يوجد ضابط شرعي دقيق لتحديد أوصاف المجدد، وللجزم بأن فلانًا من المجددين، فإنه لا يعرف ذلك المبعوث المجدد إلا بغلبة الظن والاستقراء، والظن قد يخطئ وقد يصيب، فلذا لا مجال للادعاء بأن شخصًا بذاته هو المقصود بالحديث، وإن كان قد يستأنس بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه، بأن فلانًا من المجددين(٣)، قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤): "وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر والله أعلم، أنه يعم حملة العلم العاملين به من كل طائفة، ممن عمله مأخوذ عن الشارع، أو ممن هو موافق من كل طائفة وكل صنف

---

(١) رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الزكاة (٢٤٣٩).

(٢) تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة (ص: ١١٤)

٣) ينظر: تجديد الدين مفهوم وضوابطه وآثار، د. محمد حسانين ٣٦

من أصناف العلماء، من مفسرين، ومحدثين، وقراء، وفقهاء، ونحاة، ولغويين، إلى غير ذلك من أصناف العلوم النافعة"(١).

وقد تكلم العلماء عن بعض الأوصاف التي لا بد من اتصاف المجدد بها، وذكروها في كتبهم، ولذلك نرى خلافًا كثيرًا في تعداد المجددين وتحديدهم؛ إلا أن المجدد للدين لا بد أن يكون ملتزمًا بمنهج السلف الصالح في الاعتقاد، والمنهج، والسلوك، وهذا هو الضابط الأساسي الذي يبني عليه غيره، وذلك للحديث (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتي يأتيهم أمر الله وهم على كذلك)، وفي رواية: (علي الحق ظاهرين)(٢)، وأن يكون عالما بالعلوم الدينية وآلاتها، قادرًا على الاستنباط والاجتهاد، ناصرًا للسنة قامعًا للبدعة، وأن يعم علمه أهل زمانه(٣)، وأن يكون عاملًا بعلمه حتى يكون لتجديده عميق الأثر، وأن يكون صلبًا في الثبات على الحق، جريئًا في بيان الصواب، وأن يكون عدلًا مرضي السيرة، ذا إحسان إلى الخلق يسعى في مصالحهم، مع زهده في الدنيا، وأن يكون ذا خبرة مدركًا بحال زمانه وما نشأ فيه من مذاهب وطوائف وملل ونحل وثقافات وأعراف وأنظمة حكم وأساليب، مع إدراكه للتاريخ السابق وما انطوى عليه من مآثر، وهذه الصفات التي ذكرها العلماء مهمة للمجدد ليقوم بدوره على الوجه الصحيح(٤)، إلا أنه يرد التساؤل القائل: هل لا بد من اجتماع كل صفات المجدد المجتهد في مجدد واحد؟ خاصة وأن الإسلام دين ودولة ومجتمع وحضارة، وأن النهوض به يقتضي عملًا شاملًا تتضافر عليه كل فئات الأمة، وينال فيه العمل الفكري التجديدي حظه إلى جانب العمل الجماهيري، فهل يتجزئ التجديد في أكثر من مبعوث؟ وهل يتعدد المجددون في القرن الواحد؟

وعن تعدد المجددين في القرن الواحد، ذهب الإمام أحمد ¬ إلى القول: بأن لكل زمان مجددًا واحدًا(٥)، في حين ذهب ابن الأثير ¬ إلى جواز تعدد المجددين(٦)، ومنشأ الخلاف فيما إذا كان المجدد واحد أو أكثر، من مدلول لفظة "مَنْ" الواردة في قوله ﷺ: (مَنْ يجدد لها دينها)، والمعنى: أن الأمر يحتمل أن يكون على رأس المائة مجدد واحد، وقد يحتمل أن يكون المجدد جماعة، إذ لا مانع من هذا، قال في عون المعبود: "لا يلزم أن يكون على رأس كل مائة سنة مجدد واحد فقط، بل يمكن أن يكون أكثر من واحد" ثم نقل كلامًا لابن حجر يؤيد هذا حيث قال ¬: "حمل بعض الأئمة (مَنْ) في الحديث على أكثر من الواحد وهو ممكن بالنسبة للفظ الحديث"(٧)، فـ(مَنْ) في الحديث اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادًا وجموعًا واستغراقًا(٨)، فنخلص إلى أنه قد يتعدد المجددون في القرن الواحد، فبعضهم

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢).

(٢) مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٣/ ١٠٦٩)، وتحقيقات وأنظار في القرآن والسنة (ص: ١٢٣)، والعصرانيون ومفهوم تجديد الدين، عبد العزيز مختار (ص: ١٣) وتجديد الدين ومفهومه وضوابطه وآثاره (ص: ٣٦).

(٣) ينظر: عون المعبود (٢٦٣/١١)؛ فيض القدير (١/ ١٠).

(٤) ينظر: فيض القدير (١/ ١٠)؛ عون المعبود (١١/ ٣٨٦) تجديد الدين مفهوم وضوابطه وآثار، د. محمد حسانين (ص٣٦).

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٢/ ٦٢)؛ صفوة الصفوة، ابن الجوزي (٢/ ١٤٠).

(٦) جامع الأصول (١١/ ٣١٩).

(٧) عون المعبود (٢٦٤/١١).

(٨) ينظر: فيض القدير (١ /١٠).

يجدد في الفقه، وبعضهم يجدد في الحديث، وبعضهم يجدد في العقائد ...إلخ، وهذا كله محمول على حديث المجدد بلا تأويل[1]، كما يحمل عليه أيضًا أن المجددين ليسوا في مكان واحد فقط، بل يجوز أن يجتمعوا في بلد واحد، ويجوز أن يكونوا في بلاد شتى، كما يجوز أن يكونوا في زمن واحد وأزمان متباعدة، كأن يكون المجدد حاضرًا حيًا في الأجيال التالية بعلمه وعمله، مثل ما للأئمة الأربعة وابن تيمية وغيرهم من العلماء، ذلك أنه يحصل للعمل الاتساع والتأثير متى اقترن بقصد التعبد لله عز وجل، وتخلق بأعمال الطاعة والعبادة[2].

غير أن هؤلاء المجددين يتكثفون في عصور الازدهار ويقلّون في عصور الانحدار، وفي هذا يقول النووي (ت ٦٧٦هـ): "ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم، إلى أن لا يبقى فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله، ثم قال: وهو متجه فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد"[3]، إلا أن يُدَّعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المئة الأولى، باتصافه بجميع صفات الخير، وتقدمه فيها، ومن ثَمَّ أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده كالشافعي وإن كان متصفًا بالصفات الجميلة، إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد، والحكم بالعدل، ثم اختلفوا فيمن بعدهم[4]، وقال الحافظ ابن حجر: "نبه بعض الأئمة على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل قرن واحد فقط بل الأمر فيه كما في حديث: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد"[5]، وقال ابن الأثير: "الأصل في حِفْظِ الدِّين حفظُ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء، ويتمكّن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أُولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث: ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلّة الشرع، والقُرَّاء ينفعون بحفظ القراءات، وضبط الروايات، والزُّهاد ينفعون بالمواعظ، والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر"[6].

مسألة: زمن الحاجة إلى التجديد

كلما اتسعت معارف الناس وتطورت علومهم، اتسعت الحاجة كذلك إلى التجديد الذي يجمع بين أصالة الماضي ومعاصرة الحاضر، بل إن اختلاف الناس البيِّن في أحوالهم ومعايشهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، مما يتطلب نظرة جديدة لضمان عملية إحياء الدين وإعادته، وربط المسائل والنوازل والأحكام بالقواعد الفقهية، والأصول الشرعية؛

(١) جامع الأصول (١١/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير (٦/ ٢٥٦)؛ كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (٣/ ١٧٠)، فتح الباري (١٥/ ٢٢٩ – ٢٣٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٧)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٣٢٠)، والبداية والنهاية (١٩/ ٤٢)، وفتح الباري (١٣/٢٩٥).

(٤) ينظر: توالي التأسيس (ص٤٧).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٥).

(٦) جامع الأصول (١١/ ٣٢٠).



ذلك أن طبيعة تلك المسائل متنوعة بحسب اختلاف الأشخاص والأحوال والزمان والمكان، مما يسبب الصعوبة في وجود مرتكز يجمعها في إطار جامع[1]، فهل التجديد مرتبط بالحاجة أو بالزمن أو بالمكان؟ وهل التقييد الزمني برأس المائة سنة أتى على سبيل الضبط، فيكون التقييد احترازي، أم أتى على سبيل التقريب، فيكون التقييد اتفاقي؟

وكون التجديد على رأس كل مائة سنة، لقوله ﷺ: (على رأس كل مائة سنة)، إنما كان لانخرام العلماء فيه غالبًا، واندراس السنن، وظهور البدع، فيحتاج حينئذٍ إلى تجديد[2]، ووقع خلاف بين أهل العلم حول تحديد وقت بعثة المجدد برأس القرن، وخلاصته –والله أعلم– أن التحديد برأس القرن تقريبي وليس احترازيًا[3]، واختلف في مبدأ المائة، هل يكون من مولده، أو من بعثه ﷺ، أو من هجرته، أو من وقت نطقه بحديث التجديد، أو من وفاته؟ قال المناوي (ت: ١٠٣١هـ): "يحتمل من المولد النبوي، أو البعثة، أو الهجرة، أو الوفاة، ولو قيل: بأقربية الثاني لم يبعد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث"[4]، وكذلك صنيع بعض العلماء الذين حددوا أسماء بعض المجددين، حيث ذكروا من العلماء من كان على رأس السنة الهجرية، والحق أنه لم يرد في تحديد مبدأ المائة نص شرعي صريح؛ لأن المجدد يظهر كلما دعت الحاجة إليه، لبعد الناس عن عهد النبوة، أو لبعدهم عن عصر المجدد السابق، وهذا ينسجم مع الأحداث التاريخية كلها[5].

ويقودنا هذا إلى اليقين بأن زمن التجديد لا ينحصر بمدة معينة، أو برجال معينين، وأنه مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأن عملية التجديد في أصلها ظاهرة قدرية فطرية إيجابية مستمرة تتضمن معنى الاستواء والصلاح، فالفعل (يجدد) في الحديث بلفظ المضارعة دال على الاستمرار، وهذا الحديث يؤكد أن المستقبل للإسلام مهما تكاثرت قوى الشر، وتعاظم طغيان أهل الباطل، فهو متجدد إلى يوم القيامة.

مسألة: مواطن التجديد العقدي

تأتي أهمية الوقوف على مواطن التجديد العقدي، باعتبار ما تتصف به العقيدة الصحيحة في كونها أصل دين الإسلام، وأساس ملته، وأن الأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، كما تقرر هذا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، لذا مثلت قضايا الدفاع عن العقيدة في القديم حيزًا كبيرًا، من منطلق دفاعي حجاجي، وتحولت آلية الدفاع إلى إبراز دور الدين في الحياة المعاصرة، وحاجة البشرية له، وهي أسئلة لم تكن في القديم بهذا الشكل الذي تطرح به من المشكك أو اللاديني في هذا العصر، نتيجة ما يكون له من الاطلاع على المعارف العلمية، ونتائج علوم عدة تتناقض مع رؤيته الموروثة للدين، وهكذا يكون التجديد العقدي هنا، بتجديد طريقة تخليص العقيدة الإسلامية مما علق بأذهان الناس من البدع، وإيصال العقيدة الصحيحة؛ بحيث لا تُؤخذ العقيدة الإسلامية جامدة، وذلك بعدم الاقتصار عن التلقين الصوري لعلم العقيدة، والتركيز على الجانب السلوكي

(١) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي (١/٢٦-٣٦).

(٢) ينظر: مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري (١/ ٣٤٠).

(٣) ينظر: التجديد في الفكر الإسلامي (١/٥٩،٦٠).

(٤) فيض القدير (١/١٠)، (٢/٢٨١).

(٥) ينظر: علماء التجديد في الإسلام، عبد الحميد حمدان (١/٢٤-٢٥).



والعملي فيها، ومدى تأثير العقيدة في سلوك الناس وأفعالهم؛ وهذا يستلزم التجديد التوجيهي في الأساليب الدعوية، والتجديد التعليمي بالاستدلال والشروحات والمختصرات، والتجديد التكاملي مع الوسائل العصرية الحديثة، والتجديد الحجاجي مع رد الشبهات العقدية الحديثة: والوقوف في وجه التحديات الراهنة.

وفيما يتعلق بموضوع الإنسان، فهناك زاويتان للنظر إلى الدين: أعلى وأدنى، فإذا استعمل اللفظ في الطرف الأعلى من زاوية (الله إلى الإنسان)، كان ملكًا، وحسابًا، وسلطانًا، وهذا لا تجديد فيه فهو من الثوابت، وإذا تعلق بالطرف الأدنى من زاوية (الإنسان إلى الله)، كان خضوعًا، وطاعةً، وإذعانًا[1]، وبالتالي فإن مضامين هذا السلوك وأبعاده دينًا يتدين به، ويختار العبد لنفسه مصيرًا وسيرةً معينة، ويكون التجديد العقدي هنا متجه إلى القضايا الإنسانية الجديدة، مسألة الحرية وحقوق الإنسان والدمقراطية، بإعادة النظر في التعامل مع مخالفات الفرق والمذاهب، بما يحقق المصلح للدين من منظور الإنسان الفرد، وليس الإنسان العبد الملكف بالطاعة، إذ أصبحت النوازع البشرية، والأحوال النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية وغيرها، تدخل في الحديث عن التجربة الدينية للإنسان.

أما ما يتعلق بالقضايا الوجودية، فقد شكلت مسألة الوجود والأشياء، والعلاقة بين البشر وغيرهم، والوجود الإلهي، وعلاقة الله بالوجود، انشغال نسبة كبيرة من البشر، ويكون التجديد العقدي هنا متجه إلى علاج هذه القضايا الوجودية، بدلًا من معالجات قديمة، أو فلسفية، أو دينية مسيحية؛ لأن الدين الحق يقدم تفسيرًا وتبريرًا للحياة، واستمرار وجود الإنسان، ويشرح الموت بالشكل الذي يغدو فيه تحولًا في أطوار الوجود، والتناول الديني للوجود مهمة صعبة في عالم مليء برؤى متنوعة ومتناقضة للحياة والموت، يرتبط الوجود بالبحث عن المعنى والغاية من الحياة، وعن المستقبل، وكيفية العيش في عالم مليء بالتناقضات والصراعات، وفقدان القيم، وسيادة الماديات، وغير ذلك من القضايا التي تصيب البشر بالقلق الوجودي.

وأما ما يتعلق بقضايا الطبيعيات (الفيزياء والفلك)، فقد هدم العلم الحديث كثيرًا من التصورات الفلسفية والدينية القديمة عن الكون التي استخرجت من خلال قراءة النصوص بشكل حرفي، وجعلت جزءًا من العقيدة الإسلامية، مما شكل خطرًا على بنية العقيدة المتوارثة، وفرض ثنائية إما العقيدة أو العلم، فلم تحل المسألة ولم يطمئن قلب المسلم تجاه الدين، مما أحدث قطعية معرفية، ويكون التجديد العقدي هنا متجه إلى فرض إعادة النظر في موضوع الطبيعيات، وكيفية توظيفها أو معالجة الإشكال الحادث بينها وبين الدين.

وأما ما يتعلق بقضايا الأخلاق، فهناك تصور يرفض ربط الأخلاق بمبدأي الطاعة والمعصية[2]، إذ تنعدم حرية الاختيار الإنساني للفعل الأخلاقي، فتكون استجابة الأخلاق نابعة من إلزام خارجي وليس عن قناعة داخلية، ويكون التجديد العقدي هنا متجه إلى الاهتمام بماهية الحرية، وعلاقتها بالأخلاق والطاعة الدينية، وأثرها في التجربة الدينية للمسلم.

---

(١) الدين، د. محمد دراز (ص ٣٣).

(٢) ينظر: الإسلام بين الشرق والغرب للفيلسوف علي عزت (ص ١٩٣)، موسوعة الأخلاق لخالد عثمان الخراز (ص ٢٢ - ٢٣)، بناء المجتمع الإسلامي للدكتور نبيل السمالوطي (ص ٤٥).

المطلب الثاني: المسائل المتعلقة بقواعد التجديد

يواجه المسلمون في كلّ عصرٍ تحدياتٍ جديدة، تتطلب فهمًا جديدًا للدين لمعالجتها، فتزداد الحاجة وتكبر الأهمية إلى تجديد دين الأمة بشكلٍ يتناسب مع واقع الحياة المعاصرة، لكثرة الفتن، وانتشار الشبه بين المسلمين، وتعدد المذاهب الفكرية المنحرفة بممارسات عقدية ضالة، وتكالب الأعداء على الأمة، وكثرة الجهل وقلة العلم، وضعف العمل بما أنزل الله تعالى، واستخفاف كثير من الناس بالأخلاق والفضائل، وفشو الرذائل، وتسميتها بغير أسمائها، كما وقعت بعض النوازل وظهرت بعض المستجدات، التي تحتاج إلى إنزال الأحكام الشرعية عليها، استقراء من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ[(١)]، وبين ضرورة الاجتهاد، والتجديد، وأخطار التبديل والتبديد، كان لزامًا الاحتكام إلى معايير توضح الحدّ الفاصل بين المسموح من التجديد المقصود في الحديث النبوي والممنوع منه.

مسألة: قواعد التجديد الموعود المتعلقة بالمبعوث

الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، خاصة في ظل عصر التقدم العلمي الذي نعيشه بأبعاده الاقتصاد، والسياسة، والعلاقات الدولية، والعلوم الطبيعية؛ ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد والتجديد، من القياس وغيره، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضًا اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزومًا، وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق؛ فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان، ومن يقوم بالاجتهاد لا شك أنه يجدد للأمة دينها بإصدار تلك الأحكام الموافقة لنصوص الشرع الحنيف، والإسلام بطبيعته دين يتماشى مع سنن الحياة، ولا يصادم الفطرة الإنسانية، ومن هنا شجع الإسلام على التجديد المستمر لحركة الحياة والمجتمع، من أجل الوصول إلى الأفضل في جميع مجالات الحياة.

ومن القواعد أن يكون المجدد مسلمًا، وعلى اعتقاد السلف الصالح في إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عنها، فلا يعتبر بتجديد الكافر الأصلي والمرتد بلا خلاف؛ وذلك لأن غير المسلم لا يدخل تحت لفظ (الأمة) الواردة في الحديث، أما الفاسق فإنه داخل تحت هذا العموم، ولأجل ذلك اختلف العلماء في العدالة: هل تشترط أو لا تشترط؟ والمسألة على كل حال محل اجتهاد ونظر[(٢)].

والمجدد يجدد بضوابط لا يتعداها، ويكفي المجدد أن يكون من العلماء المجتهدين اجتهادًا جزئيًا، بحيث يبلغ رتبة الاجتهاد في مسألة معينة، أو باب معين، أو فن معين، وليس شرطًا أن يبلغ رتبة الاجتهاد في جميع المسائل؛ لأن اشتراط الاجتهاد المطلق نادر الوجود[(٣)]، وعصرنا قد غلب عليه التخصص، فأصبح لكل علم له أهله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء:٧]، فلا مانع من أن يضطلع أهل كل تخصص في الشرع بتخصصهم ويستفرغوا جهدهم في سبر غوره وحل مشكله وتذليل معضله.

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٩٤/١)؛ مدارج السالكين، ابن القيم (٧٩/٣)؛ القواعد الحسان لتفسير القرآن، السعدي (ص١٩٢).

(٢) ينظر: مختصر ابن اللحام (ص ٧٥)، وشرك الكوكب المنير (٢٢٧/٢-٢٢٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٠٤، ٢١٢)، ومذكرة الشنقيطي (ص ٣١٢).

وحد المجدد الذي لا يتعداه إن كان هناك نص هو فهم النص ومعرفة ما يدل عليه، وإن لم يوجد نص، فالحدود التي لا يتعداها المجتهد: قياس على ما فيه نص(١)، وتطبيق قواعد الشريعة ومبادئها العامة، أو الاستدلال بما أقامته الشريعة من دلائل مثل: "الاستحسان والاستصحاب ...إلخ"، أو مراعاة العرف أو المصالح المرسلة(٢).

مسألة: قواعد التجديد الموعود المتعلقة بالأحكام الشرعية

الأحكام الشرعية نوعان: ثابتة لا تتغير، ولا يجوز التجديد فيها، ومتغيرة لا تثبت، خاضعة للتجديد حسب المصلحة المتعلقة بالزمان والمكان والحال، قال ابن القيم رحمه الله: "الأحكام نوعان، نوع لا يتغير عن حالة واحدة، وهو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه، والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له: زمانًا، ومكانًا، وحالًا، كمقادير التعزيرات، وأجناسها، وصفاتها، فإن الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة"(٣)، ذلك أن الحكم الشرعي يدور مع علته وجودًا وعدمًا، وهذا أيضًا دليل على أن هذه الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح الناس ودرء المفاسد عنهم، وكون الحكم الشرعي يختلف من واقعة إلى واقعة، إذا تغير الزمان أو المكان أو الحال، ليس معناه أن الأحكام الشرعية مضطربة ويحصل فيها التذبذب والتباين، بل إن الحكم الشرعي لازم لعلته وسببه وجار معه، لكن حيث اختلف الزمان أو المكان اختلفت الحقيقة والعلة والسبب، فالواقعة غير الواقعة، والحكم غير الحكم(٤)، فكان هذا جوابًا على تساؤل من قال: هل ما كان يصلح للماضي هو الصالح لكل زمان، وهل فهم العقل الماضي ينسحب على الفهم المعاصر والمستقبلي؟

ومن القواعد كذلك وجوب اعتقاد أن الأحكام الشرعية أصل من أصول الدين، لا تكون مخالفة للعقول والفطر، قال ابن القيم: "بل أخبارهم -أي الرسل- قسمان: أحدها: ما تشهد به العقول والفطر، الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالًا في العقول أصلًا، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذا عليهم أو يكون ذلك العقل فاسدًا"(٥).

ونخلص إلى أن التجديد ما هو إلا عملية التواصل بين النصوص الثابتة في مصادر التشريع، والمصالح المتجددة، فمن رام التجديد فلا يجوز له المساس بجوهر الدين وأصوله الثابتة قطعية الدلالة، بل يجب عليه تنقيتها، ولا يجوز له الخروج عن النص، ولا الإخلال بالقواعد والأصول المتفق عليها في الاستدلال، ولا أن يتجاوز ما أجمع عليه العلماء حتى لا يُفتى بخلافه، فانحصر التجديد فيما يجوز فيه الاجتهاد فقط(٦)، إما بتنقية الدين مما علق به وهو ليس منه، أو بإنشاء الدليل على ما يقابله من مستجدات العصر، إذ لا بد للمجدد من الجمع بين معرفة النصوص الشرعية

(١) يشار هنا إلى أنه لا قياس في العقائد؛ لأن تجديد العقيدة لا يكون إلا بعودتها إلى ما كانت عليه قبل البدع.

(٢) ينظر: روضة الناظر لابن قدامة (ص١٢٧)، وأصول الفقه لخلاف (ص ٤٧).

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٠-٣٣١).

(٤) ينظر: إعلام الموقعين (٣/٣) وما بعدها، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، لمحمد الجيزاني (ص٣٦٠).

(٥) الروح (ص ٦٢). ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٧٩، ١٢/٤٨٧-٥٠١).

(٦) ينظر: تجديد الفقه الإسلامي، د.محمد الدسوقي (ص١١٣).

وأحوال الواقع، فيزاوج بين النصوص والمقاصد، حتى يكون تجديده صحيحًا، فلا يصح حكم شرعي إذا بني على علم بالنص وجهل بالمقصد والمآل.

مسألة: قواعد التجديد الموعود المتعلقة بالمنهج

لا بد من الانشغال بالقضايا الكلية والقواعد الكبرى، على حساب الجزئيات والفرعيات، فحين نواجه تحديات في العقيدة والفكر، تحتاج إلى تجديد لإعادة الرؤية والمنهجية الصحيحة للأمة، وتحقق مصالح الناس الحقيقية، فلا بد من ترتيب الأوليات، بحيث تتدرج من الضروريات إلى الحاجيات إلى التحسينات في ظل الوعي بالمقاصد الكلية للأحكام الشرعية، فلا يحسن أن نتشاغل بالانكفاء على الماضي ومعالجة قضاياه، على حساب معالجة الحاضر واستشراف المستقبل، وإغفال الواقع بمعطياته المختلفة، فالدين الإسلامي يتسع لكلّ زمانٍ ومكان، ولا يتعارض مع التطوّر العلميّ والفكريّ.

ولابد عندئذٍ من الالتزام بمنهج الإسلام الخاص، وعدم التأثر بغيره من المناهج، سواء في تطبيقاته التفصيلية أم روحه العامة، فلا يجوز أن نستعير من خارج الإسلام منهجًا نعتمده في التجديد؛ لأن لكل منهجٍ روحًا خاصة تنعكس من مضمونه ومحتوياته، وتتكامل في الأصول والفروع، ولكي يكون التجديد مؤديًا الغرض منه، فلابد من أن توضع له ضوابط -حتى لا يكون تغييرًا، أو تحريفًا، أو اتباعًا للهوى-، كأن يعرف بأنه لا بد أن يكون التجديد وثيق الصلة بواقع المسلمين، وليس تحت ضغط الواقع الذي يخالف ثوابت الإسلام، فالواقع لا يحكم على الإسلام، بل الإسلام هو الذي يحكم على الواقع، فتأتي مراعاة تغيير الفتوى بتغير الزمان والمكان؛ لأن اختلاف الزمان من شأنه تغيير الرأي والاجتهاد(١).

ذلك أن عملية التفاعل مع الواقع، والتأثير فيه، وتغييره بأفعال الإنسان، ينطبق عليها عبارة جامعة وجيزة بليغة، وهي قولهم: "الحكم على الشيء فرع عن تصوره "، وبهذا يتبين أن التجديد في الدين عملية لها إطار منظم يحكمه الفهم الصحيح النابع من نصوص الوحيين، الذي يقطع الطريق أمام أهل البدع والأهواء من بث سمومهم، ونشر أفكارهم التي تهدف إلى المساس بثوابت الدين الإسلامي، دون غلوٍ أو تطرف.

الخاتمة:

بعد أن منَّ الله بإتمام هذه البحث، اتضح أن هذا الحديث -موضوع الدراسة- فيه من البشائر، ما يمنح المسلم الأمل الأكيد بنصر الله لعباده المؤمنين، مما يدعوه للعمل والبذل والجهاد والتضحية، رجاء أن يكتب المولى تبارك وتعالى له ثواب المجددين، كما أن التجديد يفيد إعادة الأمر إلى ما كان عليه، بسبب ما لحقه من عوادي القدم، أو استبداله بما هو أحسن منه، بسبب تطوير الوسائل والأدوات، دعت الحاجة إلى أن تحل محله في تحقيق المقصود من صلاحيته للزمان والمكان، وذلك بإخضاع الواقع المتغير للثوابت الشرعية، ويحكم عليه بحكمها، لا أن يخضع الثابت للمتغير؛ إذ إن خضوع الثابت للمتغير يجعله متغيرًا مثله(٢)، فلا تبقى حينئذ قيم ولا أخلاق ولا قيود ولا معايير ولا ثوابت ينطلق منها ولا أسس يبنى عليها، ويمكن إجمال بعض النتائج فيما يلي:

---

(١) ينظر: نحو التجديد والاجتهاد، د. طه العلواني (ص١٧٨).

(٢) ينظر: التجديد في الفكر الاسلامي (١/٣٥٧).

- أن تجديد الدين -كلما دعت إليه الحاجة- واجب شرعي، وضرورة دينية.
- أهمية إحياء فقه التجديد لهذا الدين، لتحقيق صلاحيته للتطبيق في كل زمان ومكان، وتوافقه مع كافة البيئات والثقافات.
- أن هذا الحديث يبعث الأمل في النفوس بحفظ الله لهذا الدين، وبقائه كما نزل من السماء، صافيا من كل شائية، وتقويته لعزائم المجددين، ذلك أنهم مؤيدون بنصر الله لهم وتوفيقه، ولو عاداهم من في الأرض جميعًا.
- أن هذا الحديث يؤكد على أن المجددين لا يعيشون لأنفسهم، وإنما يتوجهون بكل طاقاتهم لأمتهم، فهم أصحاب قضية، يحيون من أجلها، وهي: تنقية الدين من كل دخيل، وتوثيق صلة المسلمين بدينهم.
- جواز أن يكون المجدد فردًا واحدًا أو جماعة، ولا يمكن الجزم بدخول شخص في دائرة المجددين، بل لا يعلم ذلك إلا بغلبة الظن.
- أن فقه التجديد المقصود، يكشف لنا الخللِ في النظرةِ الصحيحةِ له، وما يدعيه المخالفون أصحاب الاتجاهات الباطلة من أنه تجديد، إنما هو تحريف وإبطال للشريعة الإسلامية، أورث حصولَ الفوضى في قضايا الاجتهادِ المعاصرة، مما يكشف زيفه وأغراض الداعين إليه.
- أن التجديد قبل أن يكون ممارسة، هو مشروع للتغيير والانتقال من وضعية التخلف والتبعية إلى وضعية التطور والرقي، تجسده مجموع مخرجات وإنتاجات عمليات البناء الحضاري بامتياز.

ومن هنا تتضح حقيقة التجديد عند أهل السنة والجماعة، بأن التجديد الصحيح بمعنى إفشاء العلم والإحياء والإعادة، وهو المراد من قول الرسول ﷺ في الأحاديث الواردة في السنة المطهرة.

ويوصي البحث بضرورة التجديد المشروع لكل عصر، شريطة أن يكون وفق ما دل عليه الإسلام والعقيدة الصحيحة، وتكثيف جهود العلماء وأهل التخصص من الأكاديميين والباحثين في بيانِ الموقفِ من دعواتِ التجديدِ المخالفةِ، لضمان أسبابِ تقدمِ الأمةِ.

وبعدُ فهذا جهد المقل، فما كان من صواب فمن الله هو المحمود على إحسانه وتوفيقه، وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة والشيطان، وأستغفر الله منه، وكما يقول ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) ¬: "ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه"(١).

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، **جامع الأصول**، عبد القادر الأرناؤوط، بشير عيون (محققان)، مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح-مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، **صفوة الصفوة**، خالد مصطفى طرطوسي (محقق)، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

(١) القواعد الفقهية، لابن رجب (ص٣).



ابن الملك، محمد بن عز الدين، **شرح المصابيح**، نور الدين طالب (محقق)، وآخرون، إدارة الثقافة الإسلامية، ١٤٣٣هـ.

ابن رسلان، شهاب الدين أبو العباس، **شرح سنن أبي داود**، خالد الرباط (محقق)، وآخرون، الفيوم – جمهورية مصر العربية، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م.

ابن عساكر، أبو القاسم، **تاريخ دمشق**، عمرو بن غرامة العمروي (محقق)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

ابن كثير، أبو الفداء، **البداية والنهاية**، عبد الله التركي (محقق)، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

أبو زيد، بكر عبد الله، **ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده**، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

أبو الهنود، أنس محمد، **التجديد بين السلام والعصرانيين الجدد**، جامعة غزة، رسالة ماجستير، عام ١٤٣٤هـ..

الأصبهاني، أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مصر، السعادة، ١٣٩٤هـ.

أمامة، د. عدنان محمد، **التجديد في الفكر الإسلامي**، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ.

بدر، د. عبد الباسط، **مذاهب الأدب الغربي رؤية إسلامية**، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م.

البغدادي، الخطيب، **تاريخ بغداد**، الدكتور بشار عواد معروف (محقق)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى**، محمد عبد القادر عطا (محقق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، **المدخل إلى علم السنن**، محمد عوامة (محقق)، القاهرة، بيروت، دار اليسر للنشر والتوزيع، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ– ٢٠١٧م.

التركي، عبد الله (وآخرون)، **تجديد الفكر الإسلامي**، الرياض، مؤسسة الملك عبد العزيز، ١٩٨٩م.

جاويش، عبد العزيز، **الإسلام دين الفطرة والحرية**، مصر، دار الهلال، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

الجرجاني، الشريف، **التعريفات**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، مصطفى عبد القادر عطا (محقق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ — ١٩٩٠م.

الحدادي، زين الدين، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ.

حمدان، عبد الحميد، **علماء التجديد في الإسلام**، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٠٩هـ.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت، المكتبة العلمية.

حنفي، حسن، **التراث والتجديد**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.



خشان، د. سيف الدين، **العصرانيون ودعوتهم إلى التجديد**، مجلة جامعة الأقصى.

الخولي، أمين، **المجددون في الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الخولي، محمد علي، **الإسلام والحضارة الغربية**، دار الفلاح، ٢٠٠١م.

خير، بسطامي محمد سعيد، **مفهوم تجديد الدين**، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

الدسوقي، د. محمد، **تجديد الفقه الإسلامي**، بيروت، دار المدى الإسلامي، ٢٠٠٦م.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، يوسف الشيخ محمد (محقق)، بيروت – صيدا، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ.

الرازي، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، صفوان عدنان الداودي (محقق)، دمشق- بيروت، دار القلم- الدار الشامية، ١٤١٢هـ.

السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، **السنن**، شعَيب الأرناؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي(محققان)، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

السيوطي، جلال الدين، **التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة**، عبد الحميد شانوحة (محقق)، عَمان، دار الثقة للنشر والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين، **مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود**، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، **الموافقات**، أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (محقق)، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م

الشنقيطي، محمد الخضر، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

الصديقي العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير، **عون المعبود وحاشية ابن القيم**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

العجلوني، إسماعيل بن محمد، **كشف الخفاء**، عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي (محقق)، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

العسقلاني، ابن حجر، **توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس**، أبو الفداء عبد الله القاضي (محقق)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ.

العلواني، د. طه، **نحو التجديد والاجتهاد**، القاهرة، دار تنوير للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

عويضة، محمد، **التجديد في مجال الدراسات الحديثة**، الأردن، وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الاسلامي، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م.

الغامدي، د. هزاع، **محاولات التجديد في أصول الفقه ودعواته دراسة وتقويم**، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨ م.

القاري، علي بن سلطان، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

كرو، الهادي، **رسالة في أصول التشريع الإسلامي**، طرابلس، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٦م.

للسخاوي، شمس الدين أبو الخير، **المقاصد الحسنة**، محمد عثمان الخشت (محقق)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

المباركفوري، أبو الحسن، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بنارس- الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ.

المحمادي، د. سلوى محمد، **تجديد الدين (مفهوم وضوابطه وآثاره)**، دار الحكمة.

محمود، عبد الحليم، **العارف بالله أبو العباس المرسي**، القاهرة، مطبعة الدار المصرية، ١٩٧٦م.

المناوي، زين الدين، **التيسير بشرح الجامع الصغير**، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الناصر، محمد حامد، **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، مكتبة الكوثر، ١٤٢٢هـ.

النحاس، أبو جعفر أحمد، **الناسخ والمنسوخ**، د. محمد عبد السلام محمد(محقق)، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ.

اليماني، أحمد محمد، **التجديد في أصول الفقه**، مجلة الجامعة العرقية، العدد ٤٧، الجزء ٣.